

الإمامة واللباس

قصة افتراضية للتعرف على أمر الأئمة عليهم السلام وإنعاشه في
النفوس...

محمد علي باقري

الطبعة الثانية

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

للتواصل:

E-mail: muddakerat@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

هذه محاولة لمعرفة الإمامة وتوليها باعتبارها المرجع لجميع ما يمارسه المؤمن في حياته الفعلية من الفكر، بل والسلوك وإن كان مخالفًا في ظاهره للإمامة القائمة الهادية، ما دام عارفًا بها ثم عاملًا بالتقية وهو عالم بمعناها الواسع الذي به كانت دين المستضعفين من الأئمة عليهم السلام، وفي الكافي (١/ ٤٠) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم، ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقيّة

وإني وإن كنت جازمًا بسلامة مسار هذه المحاولة ومطابقته لموازين الإمامة، غير أنني لا أتعهد بسلامة جميع الأقوال والآراء المذكورة فيها، وبما أنني حاولت تسييرها للفهم العام، فالمتوقع إذن أن يتمكن القارئ من التمييز بين خطأ القول وصوابه، والمفروض أنه ممن يبحث عن المعرفة فيتعقل الأمور ويمحصها...

وهناك من الأقوال ما قد لا أرتضيه أساساً، وإنما ذكرته
 لمجرد تنشيط الذهن وحثّه على التفكير والبحث، وأظن أن
 ذلك لا يخفى على من قرأ الموضوع بتدبر...
 ولا أظن يخفى على أحد أن القصة افتراضية...

محمد علي باقري

السبت ٥ صفر ١٤١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثابت):- لا أدري كيف أفعل؟ ... قل بالله عليك ...

(طالب):- بشأن ماذا؟

(ثابت):- بشأن الحج ... ، بشأن الحج ... ، إني قلق جداً ...

(طالب):- ماذا بك؟ اهدأ. أخبرني ...

(ثابت):- هذا أخي همّام يريد الحج مع زوجته في نفس الحملة التي أنا أريد الحج فيها مع زوجتي ...

(طالب):- ماذا في الأمر؟ وضّحه لي، إني لم أفهم بعد المشكلة التي تتألم منها

(ثابت):- المشكلة هي أنني كنت عازماً على أن آتي بالحج هذا العام بالصورة الشرعية الصحيحة مئة بالمئة، وكان ذلك يتطلب مني كل جهدي وطاقتي، مع راحة البال والبعد عن كل ما هو مقلق، خصوصاً وأن زوجتي هي الأخرى تنوي أن يخلو حجها هذا العام من الشوائب، فهي في ذلك بحاجة إلى مساعدتي، وها هو أخي وزوجته سيستوليان على قسط كبير من جهدي ويسببان لنا كثيراً من القلق والإرهاق، فلا نستطيع إذن أن نوّدي الحج حسبما نؤينا. وكلما حاولت إثناؤه لم أنجح، وصراحة، إني أخاف أيضاً،

كما قرأت في وسائل الشيعة (٨/ ٩٨)، أن يصيبني شيء إن منعتني عن الحج، ولذا لم أتصدّ له بصورة مباشرة، وإنما حاولت معه بطرق أخرى، ولكنني مع الأسف فشلت - كما ذكرت - !

(طالب):- ما هي المشكلة بالضبط؟

(ثابت):- إنك تعلم أن الالتزام التام بمسائل الحج صعب جدًّا، بل لا أظنه ممكنا لكثير من الناس خصوصا النساء، دعنا عن الطواف والدقة المطلوبة فيه وكذلك الصلاة خلف المقام، فإن عملية الجمع بين كشف الوجه وستره في آن واحد وحدها تستقطب - عادة - كل جهد المرأة في الحج...

أجل، إني كنت قد خططت هذه السنة للإتيان بحج صحيح مئة بالمئة لأعوض به حجاتي السابقة التي أشك في صحتها رغم كل ما كنت أصرفه من الجهد وأتحمل من التعب حيث كنت أدقق كثيرا وأكرر الطواف وصلاته مرارا، وكان الاهتمام بمسائل الحج ومشاكله شغلي الشاغل في موسم الحج، بل منذ مدة قبل السفر للحج...

آه ويلى! أنا عاجز عن حج نفسي، فصرت مسؤولا عن زوجتي ومشاكلها النسوية، فلم يكف ذلك بلاء حتى ابتليتُ بأخي وزوجته! قل لي: ماذا أفعل؟

(طالب):- هل هذه هي الحجة الأولى لأخيك؟ ثم ومن الطبيعي أنه ليس أميًّا، أليس كذلك؟ ...

(ثابت):- لا، إنها حجته الثانية، وهو بعد متعلم ويعرف المسائل الشرعية جيدا، أو أنه - في الحقيقة - يدعي ذلك، ويا ليتة كان أميًّا...

(طالب):- فما هي المشكلة إذن مادام هو يستطيع أن يدبر أمره؟ دعه وشأنه في الحج واهتم بنفسك وبزوجتك

(ثابت):- هو أيضا يقول: إنه وزوجته لا يشكلان ثقلا علينا فإنهما يعرفان الحج وكيفيته، ولكني لا أطمئن بكلامه، فإن تصرفاته تدل على الجهل واللامبالاة بأعمال الحج، فمثلا إنه يريد أن تحرم زوجته بملابسها العادية على خلاف الناس كلهم...، تصور كم هذا التصرف غريب؟!

(طالب):- فعلا إن ذلك تصرف غريب...، ولكن لم يفعل ذلك؟ ألم تسأله لتناقشه؟ ...

(ثابت):- لا يستطيع أحد أن يغير رأيه، إنه معروف بالتصلب والعناد

(طالب):- ولكن بماذا يبرر موقفه هذا؟ ألم يقل شيئا بهذا الصدد؟ إنني أود أن تنقل لي ما تتذكر من كلامه

(ثابت):- إنه يتكلم - كعاداته - بما لا يُقنع عاقلاً، فكلامه لا يستحق الاهتمام والنقل، فمن كلامه - مثلاً - أن تَقَيّد الحاج بثياب معينة مما يضر بحجه! ...

(طالب):- إذن بماذا يفسّر تشريع ثوبي الإحرام للرجال؟ ألم يسأله أحد عن هذا؟ ...

(ثابت):- بلى ...

(طالب):- فماذا يقول؟

(ثابت):- إنه يسكت فلا يردّ على المستشكل إلا نادراً، كما فعلَ قبل أيام حين استشكل عليه (ال..) حيث أخذ يردد بعض العبارات غير المفهومة

(طالب):- ماذا كان ردّ فعل (ال..)؟

(ثابت):- ماذا تتوقع أن يكون ردّ فعل امرئ بمستوى (ال..) غير الاستهجان والازدراء؟

(طالب):- ماذا فعل أخوك حينئذ؟

(ثابت):- ليجأ إلى السكوت كعاداته بعد أن فضحنا بكلامه اللا معقول

إني أشكرك على أي حال.. ولكنه لا يستحق الشفقة، فلا تهتم به

(طالب):- هل لك أن تجمع بيني وبينه في مجلس خاص؟

(ثابت):- قد جمعنا بينه وبين شخصيات كبيرة من أمثال (ال..)
ولم يقصروا في نصيحته، ولكنه لم يقبل وظلّ مصراً على عناده
كما كان، فهل أنت تقدر أن تجعله يتغير؟!

(طالب):- لا أقصد نصيحته وتغييره، وإنما أريد الاطلاع على
وضعه الغريب الملفت للنظر...

(ثابت):- أتريد الاطلاع على جنونه، فقد كفانا ما يقوله الناس
الذين اطلعوا على أمره...

(طالب):- أرجو أن تجمع بيني وبينه...

(ثابت):- لا بأس، ولعل الله شاء أن يهديه بك أنت، ولكنه
لا يفتح على أحد، باستثناء مجموعة قليلة من أصدقائه المقربين،
خصوصاً بعد ما جرى له مع (ال..)، ومع ذلك فإني سأحاول إن
شاء الله، وأخبرك...، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- السلام عليكم

(همّام):- عليكم السلام ورحمة الله

(طالب):- إني أردتُ اللقاء بك - أيها الأخ همّام - فهل

أعطاك أخوك ثابت صورة عني، فإني أظن ذلك؟

(همّام):- لم يكن هناك مجال للتفصيل، غير أنه مدحك جداً
وقال - فيما قال - : أنك امرؤ عظيم، وأنه يحبك جداً، فنصحني
بقبول نصائحك

(طالب):- ماذا كان أثر كلامه عليك؟

(همّام):- وأنت ماذا تتوقع أن يكون الأثر؟

(طالب):- أظن أن كلامه جعلك حذرا مستنفرا تجاهي،
أليس كذلك؟

(همّام):- ... ، ماذا تقصد؟ هل لك أن توضح أكثر؟

(طالب):- لِمَ تطلب مني أن أوضح أنا ما في نفسك أنت؟
أليس الأفضل أن تتكلم أنت عما يدور في بالك؟

(همّام):- صحيح ذلك، ولكنني أريد أن أعرف عليك...

(طالب):- إني أعرف مقياس أخيك للإعجاب، ومن المؤكد
أنك أيضا تعرف ذلك المقياس، فأظن إذن أن إعجابه بشخص
قد يجعلك تشك في صلاحه، خصوصا لو أنه طلب منك أن تقبل
نصيحته، بدل أن يقترح عليك التباحث معه...

هل استطعت أن أوضح لك شيئا؟

(هَمَام): - أجل، - ويقوم فيفتح الباب فيدخل أخوه ثابت -

× × × × × × × × × ×

(ثابت) - بعد السلام - : لا أظنكما تمانعان من جلوسي معكما،
أليس كذلك؟ أتمنى أن يكون الحديث قد نفع وأصلح هَمَامًا بإذن الله

(طالب) - بعد أن ردّ السلام - : هل بإمكانك، يا هَمَام، أن تذكر لي
السبب الذي جعلك تستحسن إحرام المرأة في ثيابها المعتادة؟
فإني أحب التعرف على القاعدة التي تنطلق منها في هذا الاستحسان؟

(هَمَام): - ماذا تستهدف من التعرف على ما أنطلق منه؟

(ثابت): - عليك أن تجيب على سؤال الأخ طالب وتخبره
بما في بالك، وما عليك من هدفه من السؤال؟! إنه - جزاه الله
خيرًا - يريد أن يستخرج ما في نفسك بهدف إصلاحك، وإلا كيف
يتمكن من ذلك؟! فعليك أن تتعاون معه ولا تعاند...

(هَمَام): - أصبح أيها الأخ طالب أنك إنما تستهدف إصلاحي
كما قاله أخي ثابت؟

(ثابت): - نعم، نعم، وإلا لماذا يتعب نفسه معك؟ إنني أعرف
طالبًا فإنه ليس متفرغًا...، فكن عاقلًا وتعاون معه...

(هَمَام): - إنك أيها الأخ طالب لم تجب على سُؤالي بعدُ

(طالب):- أنا أستهدف إصلاح نفسي، لا إصلاحك، فأبحث في نفسك عما قد ينفعني...

(ثابت):- أحسنت أيها الأخ طالب... بدأت أفهم... أجل، بدأت أفهم أن هذا هو الأسلوب الناجح مع همّام إن شاء الله... وإلا فإنه لا يفتح عليك...، الصراحة إن إيماني بدهائك قد زاد... (همّام):- هل صحيح هذا الذي قاله ثابت؟

(طالب):- لا أدري كيف أتصرف بعد هذا الذي قاله ثابت فشوّس عليك أمري، ولا أظنني قادرا بالكلام على إزالة التشويش الذي أوجده ثابت في نفسك تجاهي، فلا أدري ماذا أفعل...

(ثابت):- آه، فهمت، وإني آسف من أنني خربت خطتك باستعجالي أيها العزيز طالب، إني آسف وأعاهدك أن أسكت ولا أتكلم

(همّام):- إني أتفهم المشكلة، فلأني أظن أن ثابتًا لا يعرفك أحاول اعتبار كلامه لاغيًا في الحال الحاضر، فلنستمر...

(ثابت):- ما هذا؟! لو لم أكن أنا أعرف الأخ طالبًا الذي هو صديقي فمن يعرفه يا ترى، أنت؟!...

(همّام):- بداية دعني أحاول البحث عن رواية مذكورة في الكافي فأقرأها عليك

ها قد وجدتها في ج ٤ ص ٢٨٠، وهي عن الصادق عليه السلام، قال: « كان عليّ صلوات الله عليه لينقطع ركابه في طريق مكة فيشدّه بخوصة ليهوّن الحج على نفسه »

(ثابت) - مقاطعا - : من قال لك أن هذه الرواية صحيحة؟! وهل أنت تفهم الروايات؟! ...

(طالب):- لا تستعجل يا ثابت، فإننا لا ندري إلى الآن ماذا يريد همّام، ولماذا ذكر الرواية؟

(ثابت):- إنني أعرف همّامًا وطريقته. إنه لم يذكر الرواية إلا ليستند إليها في تبرير موقفه، فقد ذكر نفس الرواية لـ (الـ..) فلم يعطه المجال فبدأ يصب عليه من الأسئلة ما جعله يندم على غلطته... ، وإنني كنت أعتقد أنه لا يجرؤ بعد ذلك اليوم على ذكر رواية أمام أحد، وقد تبين أنه نسي حالته تلك...

(طالب):- ألم تتعهد بعدم الكلام؟ وعلى أي حال فماذا قال له بالضبط بشأن الرواية؟ اذكره ثم اسكت رجاء

(ثابت):- لا أذكر الكلمات فإنها كانت صعبة وفوق مستوى فهمي، غير أنه قد سخر من همّام وجعله يفهم حدوده فلا يتحرش بالروايات... فسكت ولم يستطع أن يفتح فمه، وإنني أنصحك بأن

تفعل معه نفس الشيء قدر ما تستطيع ذلك...

× × × × × × × × × ×

(طالب): - أأكمل ما كنت قد بدأت به بنقل الرواية يا همّام...

(همّام): - كنت أريد أن أتساءل فأقول: ألا تؤثر هذه الرواية إلى باب مهم من أبواب التعامل مع الحج، بل الدين عامة، وهو أن كلما زاد اهتمام الحاج باللباس وغيره من الوسائل التي لا بدّ له منها قلّ اهتمامه بأصل الحج وبالعكس، أي كلما زاد إقبال الحاج على الحج نفسه قلّ اهتمامه بالوسائل من اللباس وغيره. ألا ترى هذا صحيحاً؟

(طالب): - إنني أجد القاعدة في نفسي صحيحة على الإجمال، ولكن ما هي الحكمة - إذن - من فرض الشريعة لباساً خاصاً على الرجال في الحج؟ أليس هذا ما يهزّ تلك القاعدة وينافيها؟

(همّام): - إنك قد انطلقت في الحكم على سلامة القاعدة المذكورة من نفسك، فأسألك: هل تجد ذلك الحكم من محكمات نفسك أم من متشابهاتها؟

(طالب): - ما هذا؟! أتتوقع مني أن أفهم هذا السؤال الغريب وأجيب عليه؟! إنك إذن مثالي جداً، أليس كذلك؟

(ثابت):- ليس هذا الكلام الذي سمعته من همّام هو وحده الغريب، فسوف تجد بنفسك أن أكثر أقواله وتصرفاته غريبة لا يتقبلها العقل، بل تثير السخرية في النفوس...

(طالب):- إني لم أقصد من كلمة (الغريب) ما قد فهمته أنت ... ، دعني أسمع ما يقوله همّام، دعني، رجاءً...

(همّام):- لم أتوقع أن يكون سؤالي مفهوما لك بالضبط فتستطيع الإجابة عليه...

(ثابت) - متدخلا - : هكذا! إنه بنفسه يعلم أن كلامه غير مفهوم فما هو ذنب الآخرين إذن؟!

(طالب) - وهو يهمل تعليق ثابت - : فلو كنت تعلم ذلك يا همّام، فلم سكتّ وبدأت تحديق في وجهي؟ أليس معنى ذلك أنك كنت تنتظر مني الإجابة على سؤالك؟ ...

(همّام):- كلاً، وإنما فعلت ذلك لأتبين تأثير تلك الكلمات الغريبة عليك فأقرر بذلك الاستمرار أو التوقف... ، أتجد هذه الكلمات هي الأخرى غريبة، أم ماذا؟

(طالب) - بعد شيء من التفكير - : أظن أنني أعرف مغزى العبارة الأخيرة: إنك تعمّدت استعمال مصطلحات خاصة غامضة لترصد به كيفية تعاملني مع المفهوم الذي أردت طرحه عليّ، فإن لاحظت

أن كلماتك قد أثارت في نفسي الاستغراب، أو لم تلحظ أي أثر خاص، لرأيتَ من الحقيق بك إذن أن تسكت...

وأما لو لاحظتَ أن تلك الكلمات أثارت في نفسي تساؤلا صادقا للبحث لرأيتَ إذن أن الكلام معي لا يضيع فتخطو حينئذ الخطوة الثانية، أليس كذلك؟

(همّام):- أجل، إنه كذلك، وقد لمحتُ فيك ملامح الرغبة الصادقة في البحث عن المعرفة مضافا إلى إمارات الذكاء، فهذا أنا أوضح لك السؤال الغريب فأقول:

إنني أجد أن للنفس البشرية نظاما خاصا في تلقي الأفكار والمفاهيم والاعتقاد بها، فمن ذلك النظام المتشعب أن النفس لا تستطيع أن تتقبل إلا نمطا معيناً من التصورات وهي القابلة للانصهار والتحول إلى صورة موحدة وفق خصائص النفس المركوزة فيها

فمن المعروف أن من خصائص النفس الرئيسية المركوزة فيها أنها لا تستطيع تقبل فكرتين متناقضتين، فكل فكرة تتلقاها النفس لا بد وأن لا تناقض الصورة الموحدة المؤلفة من الأفكار الأخرى الموجودة فيها، بل يجب أن تعانق تلك الأفكار فتذوب في الصورة المكوّنة منها...، فلو لم تكن الفكرة الجديدة ملائمة للأفكار القائمة في النفس بشكل مترابط متشابه كعقيدة موحدة، حاولت النفس

أن توفق بينهما وتجعلهما متناسقتين، وذلك بالتصرف في الفكرة الجديدة لتصبح قابلة للذوبان في الصورة العقائدية القائمة، وإن لم تتمكن من التوفيق رفضت الفكرة الجديدة وطردها، إلا إذا كانت مهمة آية الرفض قامت النفس حينئذ بمراجعة الصورة الموجودة فيها وصياغتها لتستطيع احتضان الفكرة الجديدة... كل ذلك في حدود ما تجيزه الأساسيات المركوزة في النفس فلا يمكنها أن تتجاوزها في القبول والرفض للأشياء...

ويجب أن لا يخفى أن هذا لم يكن إلا تحليلا ذهنيا مبسطا، لا تصويرا حقيقيا لعملية الاحتضان، أو الرفض، أو التوفيق التي تحصل في النفس بتلقائية وبسرعة عظيمة تأبى الرصد والملاحظة في حينها...

ثم وإنني لا أستطيع أن أوضح وأثبت لك الآن ما أعتقد من أن المنطلق الصالح للمعرفة التي لا يكون الإيمان من دونها، إنما هي النفس بما لها من خصائص معينة... فأفترضه أصلا موضوعا... وعلى أي حال، فلو لم يكن الذي ذكرته مفهوما لك فاعتبره لاغيا كأن لم تسمعه، إذ أنه سيضر إن تشوّه، وإن كان مفهوما لك ووجدته صحيحا فأسأل إذن: هل القاعدة التي كنت قد اعترفت بصوابها في مورد الاهتمام باللباس في الحج هي من

محكمات نفسك، أي ثوابتها التي لا يمكنها التنازل عنها، أم أنها من التصورات التي قد تتغير؟

(طالب):- رغم اهتمامي المسبق بالمسائل العقائدية، وكثرة قراءتي عنها فقد وجدت كلامك دقيقا وصعبا، وبحاجة إلى كثير من الشرح والتوضيح، ولكني مع ذلك استطعت الإلمام بمقصودك، وأما هل هو صحيح أو لا؟ فإني وإن كنت أميل الآن جدًا إلى أنه صحيح، ولكني لا أستطيع الاطمئنان بذلك إلا بعد مناقشته مناقشة متأنية... فأفترضه الآن صحيحا، وأبني على ذلك، فأقول: إنني أستطيع الإجابة على سؤالك بأني أجد أن القاعدة المذكورة مما لا يمكن لنفسي أن تتنازل عنها...

(همام):- فإذا كان يعني قولك من أن فرض الشريعة لباسا خاصا على الرجال في الحج قد يهزّ تلك القاعدة ويقلقها؟

(طالب):- إنني كنت أنطلق من ذهني، ولم أكن منتبها إلى ما قد ذكرته من أن المنطلق الصالح للمعرفة هو النفس، وبعد أن نبهتني إلى هذا الأمر فراجعت نفسي وجدت أنها لا تستطيع التنازل عن تلك الحقيقة ولا تعتقد أمرا يناقضها ولكني مع ذلك أجدني بحاجة إلى التوفيق بين تلك القاعدة الأصيلة في نفسي وبين لباس الإحرام، فما زلت أتساءل عن الحكمة في فرض الشريعة

لباسا خاصا لإحرام الرجال في الحج

(همّام):- هل تحديد لباس الإحرام بثوبين غير مخيطين يعني فرض قيدٍ على الحاج؟

(طالب):- أرى أن ملاحظة الواقع تدل بوضوح أن لباس الإحرام يقيد الحاج ويأخذ قسطا من اهتمامه، ألا تراه أنت كذلك؟
(همّام):- أراه كذلك، ولكن هل التقيد المشهود كان مطلوبا عند التشريع أم أنه شيء طارئ ناتج عن عوامل أخرى لا دخل للشريعة فيها؟

(طالب):- ماذا تقصد؟ أريد توضيحا...

(همّام):- حسنا، أتعلم أن الرداء والإزار كانا أحد نوعي اللباس المتعارفين في عهد النبي صَلَّى الله عليه وآله وأن النبي بنفسه كان في حياته العادية يلبسهما تارة، كما كان يلبس القميص والإزار المخيط تارة؟

(طالب):- عجيب! هل فعلاً كان كذلك لباسهم المتعارف؟
إني لا أكاد أتصور وضعاً كذلك...

(همّام):- أظنك قد تأثرت في هذا الاستغراب بما تعودت عليه مما تشاهد من لباس الناس، ولو كنت في اليمن أو الهند

وعايشة أناسا يلبسون الأزر بدل السراويل لزال استغرابك، ولو عشت مع (غاندي) في الأربعينات من هذا القرن وهو يتجول ويخطب في أنحاء الهند في إزار ورداء، لتغيرت نظرتك، أليس كذلك؟

(ثابت): - ما هذا الهراء؟! كيف تسيء للنبي صلى الله عليه وآله بتشبيهه بكافر بوذي؟! استغفر الله! استغفر الله!

(طالب) - مهملاً تعليق ثابت - : صحيح ذلك، وإن كثيراً مما يستغربه المرء ليس إلا بسبب العادة، وإن عليّ أن أتذكر هذه الحقيقة في تعاملتي مع الأمور... ، هلا تكمل ما كنت تقول من أن الرداء والإزار كانا أحد اللباسين السائدين آنذاك

(همّام): - أجل، إذن لم يكن لباس الإحرام بالنسبة للمسلمين حينئذ إلا لباساً متعارفاً كانوا متعودين عليه، فلم يكن يشكل قيда كما الآن، بل إنه كان أقرب نوعي اللباس إلى الطبيعة فكان أسهل في التناول وأريح، فهو يشبه الآن لباس الخلوة مقارنة بلباس التجميل وفي الحقيقة إن الذي قد فرض على الحاج لم يكن هو لبس الرداء والإزار، بل عدم لبس المخيط، فلم يكن ذلك يقيّد الحاج آنذاك، إن لم يكن يحزره...

(طالب):- إذن فإصرارك على أن تجعل زوجتك تحرم في ثيابها العادية ناتج عن هذه الرؤية...

(همّام):- ولكنني لست مصرا على إحرامها كذلك...

(ثابت):- الحمد لله قد بدأ همّام يتجاوب معك أيها الأخ طالب، حيث تنازل عن إصراره على الإحرام بالملابس العادية، وأنا سعيد بهذا الانتصار، وأشكرك عليه...

(طالب):- إنه ليس انتصارا لأحد على أحد، وإنما هو نقاش وتفاهم، أرجو أن تدع الأخ همّامًا يكمل ما أراد أن يقوله، فإنك قاطعته...

(همّام):- أجل، إني لست مصرا على أن تحرم زوجتي كذلك، فليس من دأبي أن أفرض على أحد أمرا غير واجب... بل وإني قمت بإقناعها بالإحرام بثياب الإحرام المتعارفة، بعد أن كانت هي بنفسها مصرة على الإحرام في ثيابها العادية، ذلك لأنني لا أرى الإحرام كذلك مناسبا في الحال الحاضر...

(ثابت):- سبحان الله! ما هذا؟! ألم تقل في هذه الصلاة أمام عقيل وفراس أن ذلك هو الصحيح؟! ... لا بأس، فالمهم أنك في الأخير قد عرفت خطأك وغيّرت رأيك وهذا يسعدني وينهي المشكلة

(طالب):- ماذا يقول أخوك ثابت - يا همّام - هل هو مخطئ؟

(همّام):- إني أنقل إليك ما حدث: كان هناك حوار بيني وبين الأخوين اللذين ذكرهما ثابت حول الإسلام بشكل عام، وطيّ الحديث تطرقنا إلى الإحرام في الحج، وقلت: إني أجد الأنسب بشريعة الحج كمفهوم أن تحرم المرأة في ثيابها العادية... فتلقفه ثابت - سامحه الله - وانتزعه من إطاره واعتبره إعلاناً مني بأنني أريد أن أحج بزوجتي في ثيابها المعتادة، بل واتهمني بأنني أفتي باستحباب إحرام المرأة كذلك...، فجعل من ذلك قضية أقام بها الدنيا ضدي!

(طالب):- لو أنني أيضاً كنت سمعتك تقول: إن إحرام المرأة في ثيابها المعتادة أنسب بشريعة الحج...، لتصورْتُ أنك تقول باستحباب ذلك، ولتعجبتُ منك حينئذٍ كما فعل الأخ ثابت...

(ثابت):- أحسنت يا طالب!

(همّام):- هل كنت تكتفي بذلك التصور والتعجب؟

(طالب):- لا، طبعاً، بل كنت أناقشك لأتأكد، ولكن ليس كل الناس يفعلون مثلي، بل مثل ثابت على الأكثر...، أليس كذلك؟

(همّام):- صحيح أن التفريق بين المسائل المفهومية والمسائل الفقهية العملية لا يتوفر لمن ليس له إمام جيّد بالفكر الديني ولكن الأخوين اللذين كنت أذاكرهما آنذاك هما على دراية جيدة

بالبحوث الفكرية، فلم تكن مشكلة من جهتهما، وإنما من جهة ثابت الذي صادف وجوده حينذاك، وبما أنه ليس ملما بالفكر الديني ولا مهتما بهذا النمط من المسائل، فكان من الطبيعي أن لا يستوعب الأمر، وأن يثير الزوبعة التي أثارها... ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى أي حال فإني أعترف بأني استرسلت فسقطت، وفي البحار (٢٠٦/٧٨) عن الصادق عليه السلام: «إِيَّاكَ وسقطة الاسترسال فإنها لا تستقال»، وإن كنت قد استفدت به تجربة نافعة

(ثابت):- ماذا تقول الآن وقد رأيت أن طالباً فهم الأمر كما كنتُ قد فهمته أنا؟ فهل هو الآخر ليس ملما بالفكر الديني؟!

(همّام):- أجل، رغم أن الأخ طالباً ملّم الإماماً جيّداً بالمسائل الفكرية المتداولة، ولكنه - مثلك - يفتقد الإمام الكافي بقواعد البحوث الفكرية الصحيحة، فلذلك لم يستوعب المسألة...، ولكنه يختلف عنك في أنه يريد الإمام ويرغب في العلم، فلا يكتفي بما يخطر في باله، بل يسأل ويبحث ليفهم ويتأكد ويتيقن...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- أليس في هذا التفريق بين المسائل المفهومية والفقهية ما يدعو إلى الانفلات في التعامل مع الدين من دون قيد وشرط، كما هو منتشر الآن خصوصاً في أوساط المثقفين؟

(همّام):- لكي لا يتشتت الحوار ولا يتعقد أرجح تأجيل هذه المسألة إلى مجالها المناسب في هذا المجلس أو في مناسبة أخرى، ولكن لحساسية هذه المسألة، وخوفاً من أن يساء فهمها لا بدّ لي من وقفة مختصرة فأقول: إن مجاليّ كل من المسائل المفهومية والمسائل الفقهية مختلفان، فهما لا تتضاربان ولا تتصادمان

يجهد الفقيه في عصر الغيبة لاستنباط حكم شرعي لمسألة معيّنة، فيطمئن بكون ما استنبطه هو الوظيفة الشرعية الواجبة أو المستحبة مثلاً، فهو وإن كان يفتي حينئذ بوجوب الالتزام بذلك الحكم في مقام العمل (أو العمل به)، لكن ليس له أن يفتي بوجوب الالتزام بذلك الحكم مثلاً في التصور والاعتقاد أيضاً، وليس مانعه الوحيد عن ذلك - وإن كان كافياً - أن احتمال الخطأ في الاستنباط وارد، واحتمال الخطأ يمنع الاعتقاد، وإن كان لا ينافي وجوب العمل مثلاً، أو وجوب الالتزام به...

بل قد يعتقد الفقيه بخلاف ما يفتي به كمسألة شرعية، من دون أن يناقض بذلك نفسه، فإن لكل من الأمرين مجاله الخاص كما أشرت... ، وإني أدعوك إلى قراءة ما قد أشار إليه السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه طيّ (عملية اكتشاف المذهب الاقتصادي) في بداية الجزء الثاني من كتاب (اقتصادنا)، وفي مقدمته أيضاً، فستجد هنالك ما يسهّل لك فهم هذا الموضوع إن شاء الله..

ثم إنه لا يستلزم الانفلات الذي أشرت إليه، فإن للفهم الديني شروطا وقيودا معروفة - بإجمالها - عند من له إلمام بالدين، وما يفعله كثير من الناس في مورد الدين، خصوصا ما يسمّون بالمتقنين، ليس إلّا جهلا معروفا إن لم يكن لعبا مكشوفاً.... وأظن أن هذه الإشارة المختصرة تكفي لأن لا تتخذ موقفا متسرعا بهذا الصدد... أليس كذلك؟

(طالب): - لا بأس، فلأسألك سؤالاً آخر وهو: لِمَ لا تدع زوجتك تحرم في ملابسها العادية ما دمت ترى ذلك أنسب بشريعة الحج؟

(همّام): - رغم أن هذا السؤال يرتبط بالمسألة التي اتفقنا على تأجيلها، أي مسألة الفرق بين المسائل المفهومية والفقهية، فإنني أحاول الإجابة عليه فأقول: إن إحرام المرأة في ثيابها العادية أوفق إذا كان الحج منهاجا موحدا مؤلفا من مسائل مترابطة متعاضدة... ، وأما الآن حيث ليس الحج إلّا أفعالا متجزئة للحاج، من دون ارتباط خاص بينها، فالأنسب هو إحرامها بالطريقة المتعارفة ما لم تكن محرّمة...

ولأوضح لك هذا الأصل من خلال رواية الكافي (١/٤١١) وهي أن رجلا قال للإمام الصادق عليه السلام: أصلحك الله ذكرت أن

علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن: يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد! قال له: «إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا يُنكر، ولو لبس ذلك اليوم شهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله، غير أن قائمنا أهل البيت إذا قام لبس لباس علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام»

كان اللباس في عهد علي عليه السلام - كما في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله - يشير إلى اتجاه الحياة ويبلور إمامتها حيث كان الدين منهاجا شاملا ترتبط فيه الصلاة بالنسك وبالمحيا والممات وشتى مظاهر حياتهم... ، فأية ظاهرة من مظاهر الحياة كانت تؤثر سلبا وإيجابا في اتجاه المظاهر الأخرى ودعوتها... أتستطيع تصور أن يكون لباس المرء أو طعامه مثلا داعية؟

(طالب):- أذكر رواية قرأتها في الكافي (١/ ٤١٠) تشير إلى هذا، وهي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله جعلني إماما لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغي الغني غناه»

(همام):- أحسنت، ولكن التواضع في الملبس في عهد

الإمام الصادق عليه السلام لم يعد يعني غير الفقر أو البخل، وكانت النظرة العامة تزديهما

(ثابت): - لا حول ولا قوة إلا بالله! كيف تجرؤ على أن تصوّر الإمام عليه السلام إنساناً ضعيفاً يتأثر بنظرة الناس فيسايرهم مخافة أن يزدروه! فهل أنت ترضى لنفسك أن يتصورك أحد بهذه الصورة؟! فكيف تفعله بالإمام عليه السلام؟! إني أدعوك إلى التوبة والاستغفار، والكف عما تفعله من التحرش الدائم بالأئمة عليهم السلام

(طالب): - سبحان الله! إنك بتركيزك على مقطع من الكلام منزوعاً من إطاره تشوّه الفكرة، فتضر نفسك قبل غيرك! ... لو أنك تعقّلت الكلام بإنصاف لعلمت أن الأخ همّاماً إنما أراد الإشارة إلى حكمة الإمام في مجاراته للناس في ملبسهم، ولو لم تكفك الإشارة لانتظرت دُبر الحديث أملاً في أن يتضح لك الأمر بالتدريج، وإلا لسألت وناقشت ... ، ثم وماذا تقصد بتحرش الأخ همّام الدائم بالأئمة عليهم السلام؟

(ثابت): - عجباً! ألم تر بنفسك طريقته في التعامل مع الأئمة عليهم السلام، حيث يأتي كلاً منهم، ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام، فيقتحم حياته العامة والخاصة، ويعطي لنفسه الحق في

أن يتدخل في جميع تصرفاته ويتناولها بالوصف والتحليل والشرح!
أترضى أنت لنفسك أن يتجسس أحد من الناس شؤونك ويراقب
حركاتك وسكناتك فيبتذلها بالتفسير والتحليل كما يشاء؟!
فكيف ترضى للإمام ما لا ترضاه أنت لنفسك؟! ثم وهل يستطيع
أحد من الناس أن يعرف الإمام ويصفه؟!

(همّام):- أظنك - أيها الأخ طالب - إنما تبحث الآن عن
طريقة للنجاة من الورطة التي أوقعت نفسك فيها! وإني أغيثك
بدعوتك إلى الرجوع إلى الحوار، فهيا...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- حسنا، لقد قلتَ في كلامك الأخير إن التواضع
في الملبس في عهد الصادق عليه السلام لم يعد يعني غير الفقر
أو البخل، ولكنني أظن أن تواضع الملبس لم يقتصر آنذاك على الفقير
والبخل، بل كانت هنالك فئة إنما تفعل ذلك دينا وزهدا في الدنيا،
ولم تكن النظرة العامة تزدرى هؤلاء، أليس كذلك؟

(همّام):-... سبحان الله، كيف غفلتُ عن هذا الأمر المهم؟!...،
وعلى أيّ حال فإنني أشكرك على تذكيرك لي بها، وأحمد الله
على لقيائك، فلندرس الآن - وقبل كل شيء - مقدار صلة هذا الأمر
بالموضوع الذي كنا نتداوله، فهل لك أن تزودني بما تعرفه من
التفاصيل بهذا الصدد؟

(طالب):- ليس في بالي الآن شيء محدد واضح، وإنما صورة إجمالية ناتجة عن قراءاتي المختلفة...

(همّام):- ما رأيك في أن نستعين في هذا البحث بأحد الإخوة الذي اسمه عقيل، وبيته ملاصق لبيتنا، فقد ينفعنا بما لديه من علم جيّد، ومعلومات دينية غزيرة ناتجة عن قراءاته الكثيرة مع ما قد أنعم الله عليه من ذاكرة خارقة؟ ألا تعرفه ولو بواسطة ثابت الذي يحبه لمرحه، وهو نسيينا بعد؟

(طالب):- بلى، قد كان أخوك ثابت يذكره ويقص عليّ بعض نكاته، ولم أعلم أنه ذو علم، وإني أتعجب الآن كيف يحبه ثابت بإعجاب!...، وعلى أي حال فإنني أحب أن ألتقيه

فيبادر ثابت فيخرج مسرعا، ويدعو عقिला، فيأتي به

× × × × × × × × × ×

(عقيل):- السلام عليكم ورحمة الله

(همّام):- عليك السلام ورحمة الله وبركاته، هل تعلم - أو تخمّن - هدفنا من دعوتك إلى هذا المجلس؟

(عقيل):- هل حصل أن هذا الجالس قد تجرّأ عليك، فاستنجدت بي لأوقفه عند حدّه، وأثبت له أن لك إخوة ينصرونك ويدافعون عنك؟

(طالب):- سبحان الله! ما هذا؟! ...

(همّام):- إن الأخ عقيلًا معروف بالمرح والتشكيت، خاصة في مثل هذه المقامات، حيث أنه يرى أسلوبه في النقاش جافًا جدًّا فيتقصد التلطيف والتعديل، ألم تقل أنك كنت قد سمعت بعض نكاته من قبل؟

(طالب):- بلى، .. ولكنها هي المرة الأولى التي جبهني بالنكته (عقيل):- جَبَّه جَبَّهًا، أي صَكَّ جبهته، كما في اللسان، أقصد (لسان ابن منظور) لا لساني أنا، فما دمت اعتبرت مجرد كلامي صكًا لجبهتك فأنت أضعف من أن يخافه ويحذره أحد ولو كان بمستوى الأخ همّام في الضعف... ، فلماذا دعاني إذن يا ترى؟!

(همّام) - مبتسما - : أحسنت يا عقيل في تلطيفك للجو، إني أدعوك لتشاركنا في حوار فكري نافع إن شاء الله فنحن بحاجة إليك (فيلخص له المقال، ويذكر قول طالب الأخير من أنه لا يذكر شواهد تفصيلية عن الفئة الزاهدة المعاصرة للإمام الصادق عليه السلام)

(عقيل):- كيف يمكنني الاشتراك في حوار كما ولست متأكدًا من كونه حوارًا نافعًا، ومجرد إخبارك لي بأنه نافع لا يقنعني بذلك، فإني قد جربت فيك المبالغة في حسن الظن بالناس في إخلاصهم

ومستوى فهمهم، فربّ كلمة صالحة تسمعها من امرئ فتظنها ثمرة لشجرة العلم والإيمان المتأصلة في نفسه في حين أنها قد تكون مجرد كلمة يتيمة بتراء خادعة! فتكتشف ذلك وتُصدم بحبط جهلك وأملك الذي كنتَ قد عقدتَ عليه! ...

(همّام):- قد يكون ما قلّته صحيحا، خصوصا وأنك، من جانبك، تبالغ في الحذر والاحتياط، فكيف العمل الآن لنجعلك تقتنع بنفع الحوار فتنشط للاشتراك فيه؟

(طالب):- ما هو النفع الذي تطلبه من الحوار أيها الأخ عقيل؟

(عقيل):- إن الحوار المفيد هو ما يخلص فيه المتحاورون البحث عن علم، ولا يكون العلم إلا أحد الأمور الثلاثة المذكورة في الكافي (٣٢ / ١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي: « آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة » أي علامة تدل الفكر على الحق المطلوب للمعرفة، أو حكم شرعي فرضه الله للعمل، أو طريقة هدى للاتباع

فهل ما يجري هنا هو البحث عن معالم التفكير الهادف، أو المسائل الفقهية للعمل والتطبيق، أو طريقة الهدى القائمة للاتباع؟

(طالب):- لقد أحسنت في ذكرك للرواية، فإني ومنذ أن قرأتها في الكافي أبحث عن معناها، وقد سألت عنها فلم أجد ما يرضيني،

وكأنني أجد راحة نفسية في هذا المعنى الذي ذكرته أنت، وأراني بحاجة إلى استيضاحه ومناقشته لأتأكد من أن هذا المعنى هو ما تعنيه الرواية فعلاً

(عقيل):- ما الذي دعاك للاهتمام بهذه الرواية خاصة؟

(طالب):- أنا أهتم بجميع الروايات، فإن لم أفهم معنى شيء منها بحثت عنه، وكانت هذه الرواية مما لم أفهمه، مضافاً إلى أنها تحدّد العلم المطلوب، فكان عليّ أن أعرفها لأكون على بينة من أمري في طلب العلم

(عقيل):- فإذاً أنت لست متأكداً من سلامة مسار حوارك الآن مع الأخ همام، لأنك بعد لم تعرف معنى الرواية، أليس كذلك؟
(طالب):- ...

(عقيل):- أليس عيّ الأخ طالب عن الجواب يعني أنك - يا همام - كنت قد أحسنت به الظن؟! ...

(همّام):- ما كان عيّ الأخ طالب تيّهاً كما تصوّرت، بل كان لأنك قد عقدت الأمر كعادتك، فأربكته، وإني سأشرح لك أمره:
إني أرى أن الأخ طالبا - كأني امرئ صالح آخر - إنما كان ينطلق في طلبه للعلم من تطلعات نفسه الفطرية، ويسير بوحى

منها، ولم يكن ينتظر لذلك نصًا خاصًا من القرآن أو الحديث، ولما صادف الرواية حصل له تساؤل، لكنه ظلّ مجرد تساؤل ذهني، ولم يتسرّب إلى نفسه ليسبب خلخلة في موازاتها الفطرية، فظلت تعمل بنفس طريقتها الأولى في التطلع، والبحث، والقبول... ألم تر أنه لم يرتح إلا لما ذكرته أنت، ولم يكن ذلك إلا لأنه ناسب طريقة نفسه الذاتية...

هذا، وأخشى أن هذا التحليل المختصر الذي قد اضطررتني أنت إليه هو الآخر يقلق وضع الأخ طالب ويخرجه عن عفويته المطلوبة، وعلى أي حال فإني لا أظن أسلوبك في رصد اتجاه الحوار وتوجيهه نافعاً

(عقيل):- فما هو الحل إذن؟

(همّام):- الحل هو ما عملته أنا مع الأخ طالب، بأن حاولت التعرف على وضعه وهدفه من النقاش، وذلك برصد أسئلته، وملاحظة أجوبته على أسئلة قد وجهتها إليه، فتبيّن لي أنه يتمتع بقلب سليم ومقدار كاف من الفهم، فقامت بإرشاده، فكلما دلّته على أمر وفهمه ذهنه - مباشرة، أو بعد توضيح - وعرفته نفسه، قبله، وإلا توقف، وهكذا...، وأعترف - مع ذلك - بأنني قد غفلت بعض الأحيان فطرح عليه من المسائل ما ربما قد أضرت بحالته العفوية، أو كادت

(طالب):- ماذا كنت تفعل معي لو كنتُ على غير ما وجدتنى عليه؟

(هَمَام):- لئلا يتشتت بنا الأمر فإنني أجيب على سؤالك باختصار شديد، فأقول: كنت أساعدك لتسترجع سلامة قلبك، وأما لو لم تكن تريد العون، أو لم يمكنني ذلك، لتركتك...

ومهما كان من أمر فإنني أرجح إلغاء هذه الفقرة من النقاش واعتبارها كأن لم تكن، وأن نرجع إلى حوارنا الذي دعونا له الأخ، فهيا يا عقيل زودنا بما كنا بحاجة إليه بشأن لباس الإمام، وسوف يتبين لك بالتدريج أن الحوار نافع إن شاء الله...

× × × × × × × × × ×

(عقيل):- حسناً، بما أنك ترغب في هذا الأمر، فإنني ملبيك وإن لم أكن مقتنعا بنفع الحوار، فأليك بعض ما أذكره بهذا الصدد: فمنها ما في الكافي (٤٤٢/٦) من أن سفيان الثوري رأى الإمام الصادق عليه السلام في المسجد الحرام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لا تيئه ولأوبخنه...

وأيضاً ما في الكافي (٤٤٣/٦) من أن عباد بن كثير البصري تصدى للإمام الصادق عليه السلام بشأن ثيابه المروية الحسان... ، وفي الرواية أن عبادا كان يلبس ثوبين قطريين، وأنا لا أبين لكما

معنى الثوب القطري الذي قد لا أعرفه بنفسى أيضا بالضبط! وكذلك
التياب المروية! ...

هذا ولأن الأخ طالبا لا يعرفني بعد فأقول له ما أكرره دائما
وهو أنى لست مسؤولا عن صحة أسناد النصوص التى أذكرها
لأحد، وعمما يستنبطه هو منها...

(همام):- إذن ما هو السبب الأساس لما كان يلبسه الإمام من
التياب الحسان، إن كانت هناك فئة تلبس ثياب القصد من دون
أن تزديها الناس وتحتقرها؟

(عقيل):- وجود أناس زاهدين آنذاك ليس مما يتطلب شواهد
معينة ليثبت، فإنه معروف بإجماله لأي امرئ ملّم بالتاريخ، بل
من المعروف أيضا أن هؤلاء الزاهدين - مضافا إلى سلوكهم
الزاهد - كانوا يقومون بالدعوة إلى الزهد

وأما ما ذكرتماه من أن الناس لم يكونوا يحتقرون هؤلاء فهناك
رواية في الكافي (٤٤٣/٦) تدل على أن الناس كانوا يهتمونهم
بالمراءة...

وبناء على عدم اعتبار الرواية، مثلا، وعلى فرض أن الناس
كانوا يحترمون تلك الفئة فمن المعقول أنهم إنما كانوا ينظرون إليها
كفئة خاصة ذات طريقة مثالية قد يقدسها الناس لكنهم لا يقتدون

بها، بل لا ينظرون إليها كأسوة، ذلك كالرهبان والقسيسين في الحال الحاضر، فإن النصارى يقدسونهم كفئة معينة مفصولة عن المجتمع العام، وإن كانت تعيش ضمنه

فبناء على هذا الفرض المعقول ألم يكن وجود تلك الفئة آنذاك إنما يشكل بنفسه عقبة في طريق التواضع في الملبس، حيث كان تواضع امرئ في اللباس إنما كان يستدعي في الأذهان طريقة خاصة تنتهجها فئة معينة، فلو كان قد فعله الإمام عليه السلام كان بذلك أيد هؤلاء الزاهدين الذين كانوا يفتقدون المعرفة، فيأتون الدين من غير بابه؟

فخلاصة الكلام: إن الإمام لم يكن يستطيع التواضع في ملبسه، لأنه إما يُحتقر ويُهان كفقير أو بخيل، أو يعتبر ممن يدعو بدعوة براء متجسدة في فئة من الفئات الضالة...

ولمزيد من التوضيح أقول: كانت الخوارج فئة قائمة آنذاك، وكانوا ينتهجون التواضع في الملبس، بل الدعوة إليه كما في محاجتهم لابن عباس مثلاً والتي يرويها الكافي (٤٤٢/٦)، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك ضمن طريقتهم الضالة المعروفة

هذا، وبما أنني ما زلتُ خارجَ الحوار، وإنما أعمل كمن يريد أن يغيث أحداً! فأسأل: هل كفى هذا المقدار من الإغاثة، أم

ما زالت هنالك حاجة؟ فإن لدينا المزيد! ...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- ألا تجد أيها الأخ عقيل أن دعابتك قد تضر بعلمك
وتقلل من تأثيره المطلوب؟

(همّام):- كما قلتُ: إنه لا يفعل ذلك عادة إلا في نطاق محدود،
وبغية تلطيف جوّ النقاش الجاف، وإلا فهو رغم طبيعته المرحّة جادّ
هادف في أحاديثه وفي حياته بشكل عام، وإنني مع ذلك أدعوه
إلى تقليل المزاح...، ومن المتوقع أنه بنفسه يعلم أن هناك
روايات تدم المزاح، منها ما في الكافي (٢/٦٦٥): «إياك والمزاح
فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف بمروءتك»...

(ثابت):- سبحان الله! أتدعو عقيلًا ليكون مثلك في أخلاقك
الجافّة المنفّرة للناس؟! إني أحذّرك - أيها العزيز عقيل - من أن تسمع
كلام همّام فتترك المرح، فإنك ستخسر بذلك صداقتي وحبّي...
(عقيل):- وما أفدحها من خسارة! وما أخوفه من تحذير!
وكيف لي العيش من دون حبّك؟!

(همّام):- دع هذا يا عقيل، فإننا ما زلنا بحاجة إلى المزيد من
علمك، فقل لنا: كيف كان تواضع الإمام عليه السلام في الملبس
يؤشّر إلى تلك الفئات ويسندها، بدل أن يجسّد إمامة الأئمة أنفسهم...

(عقيل):- رغم أن التواضع في الملبس كان معلما من معالم إمامة الأئمة عليهم السلام، لكنه لم يكن منطلقا من منطلقاتها والسمة البارزة فيها، وإنما كان مجرد أمر ضمن أمور عديدة مترابطة متدرجة كان جميعها تشكل إمامتهم، فالتمسك به وحده قد يؤدي إلى تجزئة تلك الأمور المترابطة..

وأما الفئات الزاهدة فبما أنها لم تكن تعرف الإمامة والولاية وكانت تأتي الدين من غير بابه، فكانت تتعامل مع أي شيء بمعزل عن الأمور الأخرى، فكان تمسكها بأي أمر يجعله سمة بارزة في عرض ما لطريقتها من سمات مشابهة أخرى، ما لم تكن هناك إمامة تنظمها وتسلسلها نحو هدف مطلوب صالح

وبهذا يتبين أن التمسك بالملبس المتواضع وحده لا يكون إلا عملا مبتورا فلا يكون بمفرده مؤشرا إلى الإمامة، وإنما مجسدا لطريقة أناس آخرين كانوا قد ركزوا على اللباس بمعزل عن الإمامة...

(همام):- لقد أحسنت وأجدت، ولكنك لم تكمل شرحك بذكر أمرين آخرين هما: أن إصلاح اللباس لا يمكن أن يتم إلا بالإمامة القائمة، ولو فرض إمكان ذلك من دونها فإن صلاح اللباس وحده لا يجدي شيئا

(عقيل):- لقد أحسنت حيث نبهتني (بألغُوزة!) إلى أمرين

مهمين كنت غافلا عنهما، فإني إذن لم أحسن ولم أجِدْ... ، ولكن لا بأس فإن الجواد قد يكبو، والسيف قد يخبو، كما في المثل المعروف! ثم وهل فهمت الغوزتي؟!

(همّام):- إن المثل الذي ذكرته هزلا صحيح جدّا يا عقيل ولا يتوقع أحد منك أن تعرف كل شيء فإن فوق كلّ ذي علمٍ عليّمْ، وقد فهمتُ الغوزتك فقد قصدت منها الطنز بي، حيث كنتُ قد أشرتُ إلى الأمرين المهمين باقتضاب شديد كالألغاز، في حين أنهما يستحقان كثيرا من الاهتمام والتركيز والشرح والتفصيل... ، أليس كذلك؟

(عقيل):- فهلاًّ عملتَ بما علمتَ؟!

(همّام):- ليس كل ما يُعلم يُعمل... وإني لم أرد أن أفتح على الأخ طالب جميع الأبواب مرة واحدة مخافة أن يضيع، وهو جديد العهد بهذا النمط من البحوث... ، وعلى أي حال فإني سائلك: كيف عرفت أن تلك الفئات إنما كانت تركز على تواضع اللباس منفصلا عن أمور أخرى؟

(عقيل):- إني ملبّيك فأقول: إن مجرد جهل هؤلاء بالإمامة يكفي للعلم بأنهم كانوا يتعاملون مع كل شيء بانفلات، مضافا إلى ما في بعض الروايات من أن عباد البصري وغيره كانوا يتصدون

للأئمة عليهم السلام بخصوص ملابسهم

(هَمَام):- لقد أحسنت يا عقيل، فجزاك الله عن دينه خيرا

(ثابت):- سبحان الله! إن كان الأخ عقيلًا أحسن فيما قال، فلماذا تركز أنت على اللباس الجميل إذن وتنتقده دائماً، مثلما كانت تفعلها الفئات الضالة حسب تعبيرك؟

(هَمَام):- ...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- لماذا سكت يا هَمَام ولم تردّ على ثابت، فهل وجدت إشكاله عليك صحيحا؟

(هَمَام):- إني لا أرد على إشكال ثابت، فرارا عن الجدل العقيم، ومخافة الوقوع في مزيد من المشاكل، وإني سأشرح له الموضوع هذه المرة بصورة استثنائية لتبيّن كيفية تعامله مع الرد، فأقول:

إن الذي أفعله أنا من التركيز على اللباس إنما هو لتوضيح الإمامة، وما ذكره الأخ عقيل وأحسن شرحه كان راجعا إلى السلوك الخارجي

ويوضح هذا الفرق ما في الرواية السابقة عن الكافي (١/٤١١) وهي أن رجلا قال للإمام الصادق عليه السلام: أصلحك الله

ذكرت أن علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن:
 يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس
 الجديد! قال له: «إن علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يلبس
 ذلك في زمان لا يُنكر، ولو لبس ذلك اليوم شهر به، فخير لباس
 كل زمان لباس أهله، غير أن قائمتنا أهل البيت إذا قام لبس لباس
 علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام»

فحسب هذه الرواية قد فعل الإمام عليه السلام كلا الأمرين،
 أي الأمر الذي أفعله أنا من ذكر اللباس المتواضع كمعلم من
 معالم الإمامة الصالحة، والأمر الذي قد ذكره الأخ عقيل من
 ضوابط التواضع العملي في الملبس وما يمنع عنه...

(ثابت):- لاحظ أيها الأخ طالب إنه يدعي وبكل جرأة أن
 الإمام عليه السلام فعل نفس ما عمل هو، رحم الله من قال: «إن
 لم تستح فافعل ما شئت!» وبغض النظر عن وقاحة الأسلوب، فإنه
 لا يكتفي بذكر اللباس كمعلم من معالم الإمامة الصالحة حسبما
 نسبته إلى الإمام، بل إنما يركز عليه وينتقد اللباس الجميل، بل
 ويتصدى لمن يلبس ثوبا حسنا ويلومه، كما فعل بنت أختنا عبيق
 بالأمس، فهل كان الإمام يفعل مثله؟!

(عقيل):- أنا أتطوع بالإجابة عن الأخ همام، فإنه لا يكاد يجروء
 على مجابهة أخيه ثابت...

أنا عرفت القصة عن طريق زوجتي التي كانت حاضرة ذلك اليوم في اجتماع عائلي أسبوعي، وكانت عبيق ترفل في ثياب ملفتة للأنظار، ولما لاحظت أن ثيابها أثارت إعجاب أكثر من في المجلس بدأت تتحدث وبصوت عال عن قيمة ذلك الثوب وقماشه وخياطته، وأنه آخر صيحة في عالم الموضة، وأنها لا تعرف واحدة غيرها تملك مثله... إلخ، ومن اللطيف أن ثابتاً كان إحدى المعجبات المُشنيات!!

(طالب):- إنما تقصد أن ثابتاً كان أحد المعجبين المشنين، أليس كذلك؟

(عقيل):- تقصدُ التعبير عنه بـ(إحدى المعجبات المشنيات) تطبيقاً لقاعدة (التغليب) حيث جميع من أعجب بثياب عبيق آنذاك كانت من النساء باستثناء ثابت الذي كانت الرجل الوحيدة فيهن! (ثابت):- نعم، إنني أثنت على ذلك الثوب، وكان يستحق الشناء، أليس الله جميلاً يحب الجمال؟

(عقيل):- ما كنت أعلم، ولا أظن أحداً يعلم أن الله يحب الموضة ويتابعها ويحث عباده الصالحين إلى الاهتمام بها، فشكراً لثابت على هذه المعلومة القيمة! ... فلأكمل ما كنت بصدده: فحينذاك قام الأخ همام بواجبه فقال لعبيق: إنك تقللين

من شأن نفسك بتكبير ثيابك وتعظيمها... ، وبالطبع قال هذا الكلام بأسلوبه الخاص لا بهذا الأسلوب الناعم اللبق

(طالب):- ثم ماذا حصل؟

(عقيل):- كان من الطبيعي أن يثار ثابث لكرامة عبيق العزيزة عليه ويردّ الصاع صاعين... ورغم استسلام الأخ همام وسكوته فإن المعركة لم تكن تنتهي إلا بتدخل خاص من زوجتي التي هي أختهما، (ولها الشكر الجزيل على ما فعلت)، وعلى أي حال كان تصدي الأخ همام لعبيق، كغير ذلك من التصديّات، ضروريا لبيان الحق المغفول وحماية للحاضرات من خطر الوقوع في بالوعة الموضة... ، وأما ما يفعله همام بعض الأحيان من انتقاد اللباس الجميل (حسب تعبير ثابث) أو لباس التكبر (حسب تعبيرى) فليس انتقادا له كلباس خاص، بل باعتباره مؤشرا من مؤشرات الاستكبار الذي هو من أصول الكفر كما في رواية الكافي (٢/ ٢٨٩)...

× × × × × × × × × ×

(ثابت):- كيف يكون اللباس الجميل دليل التكبر، وقد كان يلبسه الأئمة عليهم السلام؟!

(عقيل):- هل كان الأئمة عليهم السلام يلبسون اللباس

الجميل للتظاهر به مثل ما فعلته بنت أختك عبيق؟ لا أظنك تجرؤ على ذلك...

(ثابت):- فلم كانوا يفعلون ذلك إذن؟

(عقيل):- يبدو أن تحذيري قد أدى مفعوله وأثر عليك، حيث جعلك تسأل بدل أن تتهجم، وإنني أعتبر هذا بادرة خير فأحوّل سؤالك إلى الأخ همّام ليجيب عليه

(همّام):- اللباس لباسان: لباس قصد، ولباس تظاهر. أما لباس القصد (الهادف) فهو نوعان: لباس يلبسه الإمام إذا كان قائماً فيستهدف به الستر والوقاية والتجمل كحاجة طبيعية فقط، وذلك كلباس أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً، ولباس يلبسه الإمام إذا كان قاعداً فيستهدف به مداراة العرف الضال لئلا يُهان، ولأن يكون هذا النوع من اللباس لباس قصد كذلك كان يجب أن يبقى في حدود اللباس المتعارف ولا يتجاوز ذلك بحيث يلفت الأنظار... كما وأن الإمام القاعد يذكر المؤمنين بـ(اللباس الإمام) كلباس علي عليه السلام، لكي لا يُتصور أن ما يلبسه الإمام القاعد هو (اللباس الإمام)

واللباس الثاني هو ما يتظاهر به المرء ليعلو به على غيره ويتكبر، كما يفعله الناس الآن، وكما يستهدفه العرف الكافر ويروّجه

في شتى جوانب الحياة، ومنها لباس المرأة خاصة...

× × × × × × × × × ×

(عقيل):- لي هنا ملاحظتان أظنهما تعجبان ثابتاً، أولاًهما:
أنك اعتبرت (التجمل) من القصد، فما هو الإشكال إذن على عبيق
ولم تفعل إلا التجمل بلباسها؟

والملاحظة الثانية: أنه يظهر من بعض الروايات ما يناقض
كلامك من أن الإمام القاعد إنما يلبس المتعارف من اللباس، فإن
المنقول عن بعضهم أنهم كانوا يلبسون ثياباً غالية، واللباس الغالي
يكون فوق المتعارف عادة، وكما في رواية الكافي (٤٤٢/٦) التي
دلت على أن ثياب الإمام الصادق عليه السلام كانت حسنة غالية
فلفتت نظر الثوري، هل كان الإشكالان رائعين يا ثابت وأعجباك؟!
(ثابت):- كانا رائعين فعلاً وأعجباني، ويعجبني أكثر لو
وجدتك صامداً مستمراً على الإشكال...

(همّام):- إن التجمل الذي لا ينافي القصد هو ما يقابل التباؤس
كما في بعض الروايات (الكافي: ٤٤٠/٦)، فهو في الحقيقة إنما يعني
إزالة ما يتأفف منه الناس عادة، إما بطبعهم وإن كانوا في ظل إمامة
قائمة هادية كتأذيبهم من الرائحة الممتنة مثلاً، وإما بإيحاء من إمامة
ضالة، كتأفف الناس الآن من اللباس الفاقد للمقاييس المتعارفة،

كاللباس المرقع أو الحذاء من دون جورب مثلاً

فالتجمل إذن يشبه ما في (وسائل الشيعة: ١ / ٢٤٧) - نقلاً عن الخصال - عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... تنظفوا بالماء من المتنن الريح الذي يُتأذى منه، تعهدوا أنفسكم فإن الله عزّ وجلّ ييغض من عباده القاذورة الذي يتأنف به من جلس إليه...»

ولا يمكن أن يعني التجمل الذي فعلته (عبيق) مثلاً، فإنه إن لم يكن من لباس الشهرة المنهي عنه كان من الرئاء الذي لا يتلاءم مع الدين، ولا أظن أن هذا مما يخفى على أحد وإن لم يكن عارفاً بأمر الأئمة عليهم السلام وعالماً بتأثير اللباس على النفوس الآن، ودفعها نحو هدف إمامة الدنيا الكافرة...

وأما غلاء لباس الإمام فقد يكون هو المتعارف حسب مقياس الوسط الذي عاش فيه، بحيث لو أنه لم يلبسه لأهين، وأما لفت ملابس الإمام الصادق (ع) نظر الثوري فلعله كان لخصوصية الإمام، لا لخصوصية اللباس...

(عقيل):- لقد أصبح الوضع محرّجاً يا ثابت...، فهل تسمح لي بالاستسلام وقبول الحق، أم تأمرني بالتصلب والاستمرار في العناد والتمسك بالباطل، عملاً بمقولة: «النار ولا العار»؟!

(ثابت):- كان عليّ أن أنتبه إلى أن إشكالك على همّام لا ينتهي

في الأخير إلا إلى إسناده وتثبيت موقفه، فإني لا أتصور أنك
تقدر على الإساءة إليه، بل وحتى على مجرد مخالفته...

(عقيل):- إنني أقدر على ما هو أكثر من الإساءة إليه، فبماذا
تأمرني لأثبت لك ذلك؟ ...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- إنني أحمد الله وأشكرك أيها الأخ همام على هذا
اللقاء الذي كان مفيدا لي جدا وممتعا، وبما أن الوقت قد طال
كثيرا، فإني أعتذر إليكم وأترككم لترتاحوا...

(ثابت):- سبحان الله! ماذا دهاك يا طالب؟! إنني كنت أتوقع
منك غير هذا...، كيف تصف هذه الجلسة بالمفيدة الممتعة ولم
يذكر فيها إلا أشياء مبهمّة غير مفهومة، أو عدة مسائل مبتورات
متداخلات، لا يكاد المرء يركز على إحداها ليتابعها بغية الحصول
على شيء مشخص، إلا وهي تنقطع لتبدأ مسألة مبتورة أخرى،
وهلمّ جرّا...، فلو وصفت هذه الجلسة بالمضيعة للوقت والمملّة
المتعبة لقلتّ حقا ونطقت صدقا... ويا ليت (ال. ال.) كان حاضرا
فيلقي علينا محاضرة من محاضراته الرائعة فيخرج منها كل واحد
منا بحصيلة واضحة محددة قابلة للتداول والنقل للآخرين

(طالب):- إنني أفهم ما تقصده، وأوافقك على أنه لا أحد

يستطيع الخروج من هذا المجلس بفوائد مشخصة من النمط الذي يستهدفه الناس عادة، كيف وإن طبيعة المسائل التي طرحت فيه تأبى الوقوف عند حدّ معين، فكل مسألة ترتبط بمسائل شتى متكاثرة باستمرار كالتكاثر المستمر لأغصان الشجرة وأوراقها

إن الذي قد طرح هنا هذه الليلة هو (العلم) وحيث أنني قد أخذت منه الليلة، فقد وجدّني فعلاً أنني أخذت (بحظّ وافر) كما في رواية كنت قد قرأتها في الكافي (١/ ٣٤) وإني أشكرك أيها الأخ عليل أيضاً فإنني قد استفدت منك، وإني سعيد بلقيك المفيد الممتع وأحمد الله على ذلك، وإني أحببتك جدّاً، وسألتقي بك بعد هذا كثيراً إن شاء الله

(عليل): رغم شكرك لي وما أظهرت تجاهي من محبةٍ فإنني أرى من الضروري أن أجبهك بحقيقة مُرة فأقول: بما أنك لا تعرف الأمور وروابطها بعد، فلا تستطيع تشخيص صلاح نقاش من فساده، لتعرف أن حديث هذه الليلة قد تشّتت وخرج - بدرجّة أو أخرى - عن كونه موافقاً لتطلعات القلب الفطرية، ومنتجاً للعقيدة أو زيادة في الإيمان إلى حديث ذهني لا يكاد ينفع شيئاً إلا الإمتاع والجدل...، فإنني بهذا أوّيدّ ثابتاً بعض التأييد في ادعائه، وبطريقتي الخاصة طبعاً، فأقول: إن الجلسة لم تكن مفيدة وكما ينبغي...

هيا يا ثابت اشكرني فإنني رفعت بهذا الإشكال شيئاً من رأسك؟! وأزيدك شموخ أنف بأن هناك نظرية مستندة إلى بعض الروايات، فلو أنها صحّت لأت على كل ما قيل في هذا المجلس بشأن لباس الأئمة عليهم السلام، وإننا لم نتطرق إليها عمداً، فماذا تعطيني لو ذكرتها لك؟

(ثابت):- إني لا أرجو النفع لديك، فتجربتي معك أنك لا تبدأ بالتعاطف معي فتجعلني أستبشر وأتفاءل خيراً إلا وورطتني في مشكلة جديدة، فكفاني تجربة، وإني آيس من خيرك، ولا تستحق مني شكراً، فليشكرك همّام الذي لا تقصر في دعمه والدفاع عنه!

(همّام):- إني أشكرك فعلاً - يا عقيل - وأكاد أصدّقك في تقييمك لجلسة الليلة، وإني أعتزّ بدقتك، وبإحساسك الشديد بالمسؤولية الدينية، فهلاًّ قوّمت الحوار في حينه، بدل أن تستشكل وقد فات الأوان، كما وأتعجب كيف لا تتبّه مع ذلك إلى أن ما تفعله من المزاح والهزل قد يدمر جدّك ويحجب دعوتك عن النفوس، كما وقد يجرح بعض الناس خصوصاً هذه الليلة حيث قد تعرضت للأخ ثابت كثيراً، فإنني أرى أن عليك الاعتذار منه...

(ثابت):- مزاح الأخ عقيل لا يجرحني، بل يؤنسني، وهو يعلم ذلك، فلا معنى للاعتذار، وعليك أن لا تتدخل في شؤوننا نحن الإثنين

(عقيل):- أحسنت يا ثابت! هذا هو الجزاء المناسب لفضوليّ
 يقحم نفسه فيما لا يعنيه، ويتطوع للمحاربة عمن لا يريد! وليكن
 هذا تجربة تجعله يكف عما يفعله من التدخل المستمر في شؤون
 الناس بالبحث في أغوار نفوسهم للتعرف على أسباب ضلالها
 أو هداها، فهل الناس أوكلوا أمرهم إليه ليهتم بما هم عليه من
 الصلاح أو الفساد، ويعاني لأجلهم؟!

ولكن مع كل ذلك، ولتخفيف الصدمة عنه فإني أداريه وأستجيب
 له، فأعذر إليك عن كل ما صدر مني بحقك من الإساءة أو الإحسان!
 أو ما يصدر مستقبلاً...

وأما إشكالك عليّ - أيها الأخ همّام - بأني لم أحاول تعديل
 الحوار، فجوابه أنني لم أستطع الدخول معكما في الحوار كشريك
 كامل، مضافاً إلى أنني لم أكن أجروء مع وجودك على التدخل
 الصريح في مسار الحوار وتغييره

هذا، ولا أدري هل ساهم مزاحي في زيادة المشكلة لأعذر،
 أم في تخفيفها لانتظر منكما الشكر! ولا أظنكما تفعلان...

(ثابت):- لا يهكم شكرهما، فإني أشكرك جداً على مزاحك،
 كما وأشكر الأخ طالبا على ما قد فعله من إثائه لهمّام عما كان يريد
 أن يفضحنا به في الحج فقد رفع بذلك حملاً ثقيلاً عن كاهلي،

وجعلني أستطيع تحمل ما سمعته من الهراء واللغط في هذه الليلة...
(طالب): - سبحان الله! ألم يكفِ تصرّيح الأخ همّام، مدعو ما
 بكل هذا الحوار الطويل، ليثبت لك أنه لم يكن ينوي القيام بما
 كنت تعتبره فضيحة؟!

(ثابت): - ليكن كلامك صحيحا، فالمهم ليس أي شيء آخر
 غير أن ما كان يقلقني قد زال والحمد لله، سواء أبسبك أم بسبب
 آخر...، فهذا أنا أودعكم بارتياح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
(عقيل): - يبدو أن الأخ طالبا قد غيّر رأيه فقرر البقاء للمنام
 هنا أو السهر، وبما أنني بحاجة إلى النوم فإني ذاهب، ولكنني قبل
 أن أذهب، أود أن أعلن أمرا بصدد المرح المعروف عني، وهو أنني
 لا أتصنع المزاح، وإنما هو طبع فيّ فيصعب عليّ التخلي عنه، ولم
 أكن أراه ضارّا فكنت لا أبالي به، غير أن مواعظك المركزة - أيها
 الأخ همّام - وكذلك تذكير الأخ طالب، جعلتني أخاف ضرره فعلا
 على خلاف ما كنت أتصور...

بناء على ذلك فإني قررت أن أبدأ من الآن - إن شاء الله -
 بتدريب نفسي على الجدّ الخالص، غير أن الجدّ الذي أنا مقبل
 عليه سوف لا يكون من النوع الذي معه الغلظة بل من النوع الذي
 سيكون معه رفق وحنان بإذن الله...، فإلى اللقاء الجاد إن شاء

اللّهُ، والسلام عليكم ورحمة اللّهِ وبركاته

× × × × × × × × × ×

(طالب): - مخاطبا (همام) - قبل أن أذهب وأتركك لترتاح، أود أن أسألك عما يفعله الأخ عقيل بالأخ ثابت من الإهانة والاستخفاف، فهل من المعقول أنه لا يعلم حرمة إهانة المؤمن واستخفافه؟!

(همام): - بلى، إنه عالم بالمسألة، ولكنه يرى أن ما يعملته تجاه ثابت ليس إلا مزاحا هازلا، وليس حكم المزاح كحكم الجد، خصوصا إذا كان المازح معروفا بالمزاح، ألا ترى أن ثابتاً لا يجد في نفسه حزاة مما يفعله الأخ عقيل، فإنه لا يرى ذلك إهانة له، وإلا فإنه لا يسكت على الضيم...

ثم إن الأخ عقيل لا يعتبر ثابتاً مؤمناً بالأئمة عليهم السلام بحقّ وموالياً لهم، ويستدلّ على ذلك بأنه لا يعرفهم ولا يرغب في معرفتهم، فإذا لا يمكن أن يكون ممّن يحبّهم ويتولّاهم... ، أليس هذا المنطق غريبا؟!

(طالب): - رغم أنني لم أستوعب هذا الذي نقلته عنه، فقد تراءى لي أنه منطق غريب فعلا... ، فهل لك أن توضحه لي؟

(همام): - للأخ عقيل كلام طويل ومتشعب حول رأيه هذا

وآراء أخرى له مشابهة، فلا يمكنني نقله لك، بل أظنني قد أخطأت
في طرح المسألة عليك بهذه الصورة الغامضة التي قد تسيء فهمها،
فأرجو أن تعتبر نفسك كأن لم تسمع مني بهذا الصدد شيئاً، ...

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(طالب):- السلام عليكم ورحمة الله

(همّام):- عليكم السلام ورحمة الله

(طالب):- نسيت في الجلسة السابقة أن أستوعدك لقاء ثانياً،
فإني آتيك الآن - أيها الأخ همّام - لتحدد لي موعداً، أو لتحدث
إن لم تكن منشغلاً بشيء أهم

(همّام):- إني سعيد باستمرار رغبتك في التحدث والبحث،
وإني مستعدّ لذلك الآن، فادخل على بركة الله، ولكننا - مع
الأسف - نفتقد الليلة الأخ عقيلاً لسفره، وفي المقابل فإن ثابتاً
هو الآخر مسافر، فليس معنا أحد غير الله...

(طالب):- وددت أن أسألك أولاً عما كان الأخ عقيل قد قاله
في الجلسة الماضية، وهو « إن حديث هذه الليلة قد تشّتت وخرج
(بدرجة أو أخرى) عن كونه موافقاً لتطلعات القلب الفطرية،
وموجباً لرسوخ في العقيدة وزيادة في الإيمان إلى حديث
ذهني لا يكاد ينفع شيئاً إلا الإمتاع والجدل »، فما هو الفرق بين
النمطين من الحديث؟

(همّام):- عجيب حفظك لقول الأخ بنصه! فهل أنت في
الحفظ مثله، فإني لم ألمس فيك قوة حفظٍ مُلفتة؟

(طالب):- ذاكرتي عادية، غير أن ما كان قد ذكره الأخ لفت نظري فارتسم في ذاكرتي

(همّام):- إن ما ذكره الأخ هو ما كنت قد أشرتُ إليه أنا أيضا لما ذكرت جانبا من خصائص النفس في التعامل مع الأفكار من أن المنطلق الصالح للمعرفة التي لا يكون الإيمان من دونها إنما هي النفس بما لها من خصائص معينة... فافترضته أصلا موضوعا لأنني لم أستطع إثباته لك، ولا توضيحه، ألا تذكر ذلك؟

(طالب):- أجل، لقد ذكرته، فهل لك أن تذكر لي شيئا منه الآن؟

(همّام):- إنه أمر متشعب وذو أبعاد عديدة شائكة متشابكة لا يمكن تجزئتها، وأنا لست بقادر على أكثر من إلقاء خافت من الضوء عليه، عسى أن ينفعك كنقطة انطلاق لبحث شامل متناسب لهذا الأمر المهم جدًّا... ، ولأن يصبح الحديث أكثر واقعية فأسألني عما تجده في نفسك في هذا الباب، من دون أن تتوقع مني الجواب على كل ما تسألني عنه

(طالب):- ماذا تقصد بالذهن والنفس، وما هو الفرق بينهما؟

(همّام):- أقصد بالذهن ما يفكر به المرء، وهو قريب مما يسمّيه الفلاسفة بالعقل، وأقصد بالنفس ما يحسّ به المرء ويتفاعل ويحب ويبغض... وما يتحوّل به نتاج الفكر إلى صبغة

وإيمان... فهي قريبة من (القلب) ببعض معانيه، ولأن معنى كل من العقل والقلب ليس محدّدًا واضحًا الآن في عامّة الأذهان، ارتأينا استعمال الذهن والنفس. وفي الكافي (٣١٦/٢) رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تحتوي كلمة الذهن مستعملة في هذا المعنى، تقول: «... ولا تُشعروا قلوبكم الاشتغال بما فات، فتُشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت»

× × × × × × × × × ×

(طالب):- مادام الإنسان إنما يفكر بذهنه، وما دام الفكر شيئًا جيدًا ومطلوبًا، فماذا كان يقصد الأخ بأن الحديث الذهني لا ينفع شيئًا غير الإمتاع والجدل؟

(همّام):- ليس الجيّد المطلوب هو مطلق الفكر وبأيّ شكل كان، بل الفكر الهادف هدفًا صالحًا، وهو ما يعني (العقل) بمعناه المذكور في الكافي (١١/١) من أن العقل (ما عبّد به الرحمن واكتسب به الجنان...)

صحيح أن الإنسان إنما يفكر بذهنه، ولكن الذي يحدّد وجهة الفكر فيجعلها مهتدية أو ضالة ليس ذهنه، بل نفسه، وذلك لأن الذهن باعتباره أداة للتفكير المستمر إنما يخضع لأوامر النفس، لافي أن يفكر أو لا يفكر، بل في اتجاه التفكير ومساره، فإن النفس هي التي

تقود الذهن إلى الجهة التي تنزع إليها، وبالأحرى إن النزعة الغالبة من نزعتي النفس الرئيسيتين المتصارعتين، أي الشهوة والنزعة إلى الحق، هي التي تحدّد مسار الذهن في عملية التفكير التي يقوم بها الذهن بإمكانياته الذاتية، وهو بهذا يشبه حصانا يقوده راكبه

فإن كانت النفس على فطرتها التي من أساسياتها النزعة إلى الحق والانجذاب إليه انتقل شوقها إلى الذهن فقام بالبحث عن ذلك الحق، كما في (ظاهر) ما حكاه القرآن عن إبراهيم عليه السلام في بحثه عن (ربه)، حيث أن نفسه بفطرتها - كأَيِّ نفس سليمة أخرى - كانت تنزع إلى ربٍّ لو لم تعثر عليه ظلت قلقة غير مطمئنة، فنهض ذهنه بالبحث عما أوحته النفس إليه، فكلما اكتشف شيئاً من الكوكب والقمر والشمس عرضه عليها، فلم يكن أيّ منها ذلك الرب الذي كانت تنزع إليه نفسه وتحبه فأنكرته ورَفَضَتْه، إلى أن وجدته في الذي فطر السماوات والأرض...

ومن جانب آخر فإن للنفس شهوات أيضاً مضافاً إلى تلك النزعة الفطرية التي ذكرتُ، فهي بشهواتها توحى إلى الذهن أن يبحث عن أسهل السُّبُل وأريحها لنيلها، فيستجيب لها الذهن ويقوم بذلك النمط من البحث أيضاً

وبما أن من طبيعة الشهوة أن الشيطان يزيّن لها لتطغى وتسيطر

على النفس فكان الاصطدام والتصارع بينها وبين نزعة النفس إلى الحق، فقد تنتصر الشهوة حيناً، فتطلب من الذهن أن لا يفكر إلا في الشهوات واكتشاف أشهى الطرق إليها فيفعل، فتارة يستمر هذا الانتصار ويترسخ إلى أن تختنق النزعة إلى الحق، فيصبح الذهن في خدمة الشهوات مستجيباً لندائها وحدها، كما هو في العالم الآن...

ومن هذا الباب أن النفس المشتبهة قد توحى إلى الذهن أن يجادل عنها ويبرّر... ، ومن الجدل أن يفكر في أمور لا تمسّ النفس ولا تثقلها بأي عبء، فهي تشتهي الراحة فتأمر الذهن بأن يريحها من البحث الهادف بأن يلهو في حركته ولا يراجعها مادام لا يستطيع السكون والبقاء من دون تفكير... ، فهل أشططت وضيعتكَ؟

(طالب): - كلا، فإنني استطعتُ الإمام بالموضوع، فقد استمعتُ إليه باهتمام نابع عن إحساسي بالحاجة، وساعدتني أيضاً قراءاتي السابقة للمقالات الفكرية مضافاً إلى كونه قابلاً للملاحظة والرصد الشخصي إذ يرتبط بما يمارسه المرء في حياته الواقعية بشكل مستمر... ، وقد تأكد لي - في نفس الوقت - أن هذا الأمر بمقدار ما هو مهمّ، فهو واسع ودقيق لا يمكن لي استيعابه إلا ببحث مُجهّدٍ مُضنٍّ

والمسألة التي لا أقدر على تأجيلها هي: ألم تكن المفاهيم التي تداولناها في الجلسة السابقة صحيحة؟ فلم لا تكون نافعة إذن؟! (همّام):- أجل، بناء على افتراض أن المفهوم الذهني قد يكون صحيحا في نفسه، فمن الممكن اعتبار معظم ما تداولناه من أفكار صحيحا على الإجمال، ولكن الذي يجعل المفهوم نافعا ليس مجرد كونه صحيحا في نفسه، بل مضافا إلى ذلك كيفية تعامل المرء معه، فإذا كانت قد طلبته نفسه بتطلعاتها الفطرية فوجدته، فازدادت به طمأنينة وإيمانا، أصبح المفهوم الصحيح بذلك نافعا، وإذا كانت قد طلبته لهواها فوجدته كان ذلك إنعاشاً لهواها فكان ضاراً

المفهوم الصحيح الموجود في الذهن كالماء الموجود في الخارج، فإذا عطش المرء فبحث عنه ووجده فشربه، كان بذلك نافعا له ومعاشا، ولو طلبه لهواه أصبح بذلك لغوا، بل ضاراً...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- استطعتُ إلى الآن أن أعرف أن مما يجعل الأفكار ذهنية هو هوى النفس، حيث توحى إلى الذهن أن يتناول الفكر الصحيح ويلوكة بطريقة مشهية لها، وللجدل عما تهواه بصورة مباشرة وغير مباشرة...، وإني الآن بحاجة إلى معرفة المقياس

الذي به يُميّز المفهوم الذهني عن غيره، وبصورة أكثر دقة: كيف علم الأخ عقيل أن الحوار كاد أن يكون ذهنيًا؟ ثم وقد ذكرت في كلامك ما يشكك في أصل وجود مفهوم ذهني صحيح! فهل لك أن توضحه لي كذلك؟

(همّام):- أظنك تعلم أن الذي نحن فيه الآن باب واسع لا يمكن استيعابه، فها أنا أحاول الإشارة إلى ما يعرف به التعامل الإيماني الصالح مع الأفكار، وأما المقطع الأخير من سؤالك فأهمله الآن لأكثر من سبب، فأقول:

لأن لا تظل الأفكار التي يبحث عنها الذهن ويجهزها مجرد أفكار ذهنية، بل تنتقل إلى نفس المفكر فتبلور فيها الإيمان وتنمية، لا بدّ - قبل كل شيء - من توفر شرطين مترابطين، الأوّل أن ما يقوم به ذهنه من التفكير إنما يكون بحثًا عن علم تحتاج إليه نفسه في سعيها إلى ربها، وذلك بأن ينطلق في بحثه من تطلع نفسه الفطري، إذ من المفترض أن نفسه كأبي نفس صالحة إنما تنزع إلى الحق وتحنّ إليه ولا تصبر عنه كالظمآن الذي لا يطيق الصبر عن الماء، فينتقل شوقها إلى الذهن فيقوم بالبحث عن الحق المطلوب... ، وهذا ما أشرت إليه آنفاً

والشرط الثاني هو أن تكون الأفكار التي يجدها بذهنه من

النمط القابل للانتقال إلى النفس وبلورة العقيدة فيها وفق ما لها من طريقة خاصة كنتُ قد أشرتُ إليها في بدايات الحوار الماضي ففي مورد ذلك الحوار، فأنت أعلم الناس بنفسك وطريقة تعاملك معه، ولم يمكنني إلا الظن - إجمالاً - بسلامة تعاملك، وأما الأخ عقيل فلم يحصل له حتى الظن بذلك

وفيما يتعلق بأصل الأفكار التي كنت قد عرضتها أنا أو عرضها الأخ عقيل، فإن معظمها كانت مناسبة لتطلعات النفس الفطرية، لكنها رغم ذلك لم تكن تنفعك إلا أن يكون قد قام ذهنك أنت، لا فقط بفهمها، بل بتنظيمها وتجهيزها لنفسك أيضاً، وذلك كما يفعل الجائع الذي يجد طعاماً كان قد هبأه طباخون وفق مقاييس عامة لما يحتاجه الجائعون، حيث يقوم هو بنفسه بعمليات تجهيزية خاصة من المضغ وغيره مما لا يتسنى لأحد غيره أن يقوم به نيابة عنه...

فهل وسعتُ الأمر وعقدته؟ فإني أشفق عليك، وما زلت أخاف أن أضرب بعفويتك، وإن كان خوفي بالتدريج خفَّ كثيراً بعد أن كنت قد تابعتُ أسلوبك في التعامل مع الحوار وما طرح فيه من آراء وأفكار...، وإني أستغرب بقاء نفسك وذهنك سليمين رغم كثرة قراءتك للمقالات الفكرية، الأمر الخطر الذي يكاد لا ينجو أحد

من أثره المدمر... آه! لقد أخطأت في ذكر هذه النقطة المشوشة
الفاتحة لك باباً في غير موقعها... فأرجو أن تستطيع إهمالها كأنك
لم تسمعها

× × × × × × × × × ×

(طالب): - قد فتح لي الباب فعلاً، وإنني أجد رغبة شديدة في
دخوله والتعرف على ما وراءه وإن كان يبدو لي غريباً وموحشاً
ومجهول العاقبة.... غير أنني أحاول إرجاء الأمر الآن وانتظار
الوقت المناسب... فأقول:

قلت: أن معظم ما طرحتماه من الأفكار كانت صالحة، فإني
سألك إذن: ما دمتما تشخصان الأفكار الصالحة فلم لم تجعلها
كل ما عرضتماه صالحاً؟!

(همام): - إن دقتك عجيبة، وإنني أحذرك منها لئلا تخرجك
عن طورك، أو تخرج الدين عن حده فيتشوه، كما وأني أتعجب من
شدة اهتمامك بالمسائل، وأخاف منها أيضاً، حيث تريد أن تفهم
كل شيء مرة واحدة، وذلك مما يتنافى مع التدرج الضروري في
العلم والمعرفة...

وعلى أي حال فإني أجيب على سؤالك فأقول: إن ذلك
لم يكن ممكناً لسببين رئيسيين: أولاً عدم إمكان التفريق الدقيق

الكامل بين الفكر الصالح وغيره من الأساس، إذ لا يوجد لذلك مقياس موضوعي قاطع فاصل، وإنما الأمر موكول إلى صاحب المعرفة وتشخيصه الخاص لصلاح الأفكار التي يتداولها بكونها مما يؤشر إلى الحق من جهة، وبأن النفس التي يطرح لها الفكر ستلقاه بشكل صالح، وهذا أمر لا يمكن التأكيد التام منه إلا من قبل المتلقي نفسه كما أشرت إليه آنفا...، ألم ترَ اختلافي والأخ عقيل في تقييم الحوار بهذا اللحاظ؟

والسبب الثاني أن ما كنا قد عرضناه لم يكن كله أفكارا مؤشرة إلى الحق المطلوب، فقد كان منه ما قد طرح لمجرد التمهيد والجدال عن الحق، أو صيغ صياغة جدلية...، وأرجو أن لا يجعلك هذا الكلام لتطالبني أن أبين لك الآن الفرق بين الجدال بالباطل، وبين الجدال بالحق الذي لا مناص منه أبداً للهداية...

(طالب): - لا بأس، ولكنك ذكرتَ قبلُ أن الشرطين هما قبل كل شيء، فماذا بعدهما؟

(هَمَام): - وبعد هذا وذاك فهناك سمات تدل على أن الفكر المتلقى قد تحوّل إلى الإيمان في النفس، منها أن يظهر في اتجاه ذلك الفكر (ولاء) متشعب متدرج كالشجرة تجاه الأشياء والأشخاص، وأيضا (براء) كذلك ولكن في اتجاه معاكس لاتجاه الولاء، فلو

لم يحصل ولاء وبراء متناسبان مع الفكر ذلك دليل على أنه لم يتعدّ
الذهن إلى النفس، وذلك كالأفكار الفلسفية وما شابهها مما راجت
في المسلمين والتي كان بعضهم يكفر بها بعضا، وعليها يتقاتلون،
ولكن لم يكن ذلك التقاتل إلا مظهرًا لعداء متصنع مبتور...

ولنكتف بهذا المقدار، فإن الحديث شجون... والطريق غير
مسلوك ووعرٌ جدًّا، ويكفي شاهدا على ما في هذا الأمر من
صعوبات جمّة أنه لا يكاد يتم بصورة واضحة إلا بالفصل بين
وظيفتي كل من الذهن والنفس، في حين أنهما يبيان الانفصال
عن بعضهما في تعاملهما العفوي! هذا إن أمكن القول بأنهما
شيئان، فقد يكونان بُعدين لشيء واحد! ... ثم وإني لست متأكدا من
كونه مفيدا لك في الحال الحاضر، إن لم أخف عليك من ضرره....

× × × × × × × × × ×

(طالب): - لإزالة الوسواس عن نفسك أذكر لك انطباعي بشأن
هذا الحديث، فأوّلًا: لأثبت لك أنني استطعتُ الإلمام بالموضوع
واستفدتُ منه أقول: إن هذا الحديث قد فتح لي بابا لفهم روابط
الأشياء والأشخاص، فمثلا بدأتُ أفهم لِمَ كان الأخ عقيل يعاملك
باحترام خاص، ويطيعك، ولم يكن يتأذى من انتقادك له، فكأنه كان
يرى لك الولاية عليه...، في حين أنه لم يكن يشعر بأيّ ولاء ومودة

تجاه أخيك ثابت، وكان يعامله كمن يعلن البراءة منه، رغم أن ثابتاً من جانبه كان يحبه ويحترمه جداً! فهل كان يتولاه؟!

ومن جانب آخر بدأتُ أفهم الآن سبب عدم حبك لثابت رغم كونه أخاك، فلم تكن تهتمّ به بأكثر مما تتطلبه صلة الرحم، بل وبدأتُ أشخص أن ما أشعر به الآن من حبك، يختلف عن أي حب آخر كنت قد جرّبتَه في حياتي، إذ أجد بفهمي لمعنى الولاء الواعي أن حبي لك يشير إلى هذا النمط من الولاء...

وثانياً إن من انطباعي أيضاً أنني لم أكن قد قرأتُ أو سمعتُ من قبلُ موضوعاً مهماً كهذا، وذلك رغم ما فيه من ثغرات ناتجة عن أسباب مختلفة، منها ما يرتبط بطبيعة هذا الموضوع نفسه، وذلك كما كنتُ قد أشرتُ إليه طيّ الحوار من أن ما يقوم به كل من الذهن والنفس في مورد الفكر والاعتقاد إنما يحصل بتلقائية سريعة تأبى الرصد والتحليل بالشكل الدقيق، فكل ما يمكن قوله بهذا الشأن لا يكاد يكون إلا تحليلاً ذهنياً مبسطاً، ومجرد إشارة من بعيد إلى ما يسلكه الذهن بهذا الصدد، وما تقوم به النفس من الاعتقاد المتمثل في عملية الاحتضان، أو الرفض، أو التوفيق... ، هذا مضافاً إلى صعوبة (أو عدم إمكان) الفصل بين الذهن والنفس، الأمر الذي كنتُ قد أشرتُ إليه أيضاً

وإنني أضيف إلى هذا وذاك، نقطة أخرى كنت قد انتبهت لها أثناء متابعتي لحديثك، وهي أن هذا البحث لا يتم إلا بدراسات ميدانية دقيقة واسعة في النفوس، ولا أظن ذلك متوفرا الآن إلا للكفار الذين لهم نشاطات ودراسات واسعة في هذا المجال... فهل تراني قد أخطأت في ما قلت؟ فإنني أردت أن أكشف لك ما وجدته في نفسي من حديث الليلة، وإنني أعذر من الاسترسال

× × × × × × × × × ×

(همّام):- أحسنت كثيرا، ولم أتوقع أنني سأجد فيك هذه الدرجة من الذكاء والاهتمام بمسائل العقيدة، والحمد لله على ما أنعم، وإنني سعيد بك

(طالب):- هل لي أن أعتبر هذا الكلام إعلانا منك بأنك قد تولّيتني، كما تولّيتك من جانبي؟

(همّام):- قد غفلت عن أمر مهم فتسرّعت في التوقع والحكم! إنني قد وجدتُ فيك فهما جيّداً واهتماما كبيرا بالفكر فارتحت لك وانفتحتُ عليك وأنستُ بك... ، وأما تولّيتك فإنه لا يحصل إلا أن تلتقي نفسي بنفسك وتجدها في طريقها، ولأنني أرى هذا الأمر مهماً فسأشرحه لك طيّ حوار، فأقول:

إنني أراني - والحمد لله - ذا معرفة بالدين وأصوله وأبوابه

وروابط مسأله... ، وإني معتقد بما أعرف ومؤمن به، في حين أنك لا تعرف ما أنا أعرفه، فمن الطبيعي إذن أن لا تعتقد ما أعتقده، أليس كذلك؟

(طالب):- أنا مؤمن بالذي أنت تؤمن به، وإن كنت لا أعرفه بنفس الدقة والتفاصيل التي تعرفه أنت

(همّام):- ألا تحتمل أنك لو عرفت بعض ما أعرفه وأعتقده لأنكرته ورفضته، وتبرأت مني؟

(طالب):- من الطبيعي أننا سنختلف في الرّفض والقبول، غير أنني متأكد من أن اختلافنا سوف لا يكون فيما يفرق بيننا في العقيدة (همّام):- من أين لك اليقين ولم تمحصني، فلا تعرفني؟

(طالب):- الحقيقة أنني أحببتُ أن أكون على يقين فتصوّرتني كذلك... ، ويا ليتني كنتُ!

(همّام):- فكيف تتولاني وأنت تحتمل أن يكون طريقانا مختلفين؟

× × × × × × × × × ×

(طالب):- ... ألا يعني هذا استحالة حصول الأخوة الإيمانية بين غير المعصومين، حيث لا يمكن افتراض شخصين متشابهين

تماما في المعرفة والإيمان، وإن تشابهها في حال فلا اطمئنان بأن يستمرّا كذلك في المستقبل، فإن المعرفة نامية ومتجددة... أريد أن أقول: ما دام كل مؤمن يعلم إجمالا أن ما يعرفه هو يختلف عما يعرفه المؤمنون الآخرون، فهو يحتمل إذن أن يكونوا على خلافه في العقيدة والإيمان، فالمفروض إذن أن لا يتحقق في نفسه الولاء تجاههم حسب ما زعمت!

(همّام):- فما هو الحلّ إذن؟ هل الحل هو أن تُلغى المعرفة التي إنما يتفاوت المؤمنون فيها، ولا يُسمح بتأثيرها على الإيمان، بأن يحدد الإيمان بأمور معيّنة وثابتة ومكشوفة كعدد من كلمات للتلفظ، وأعمال ظاهرية للممارسة، كما هو الآن؟ أم ماذا؟

(طالب):- لا أظن هذا صحيحا فإن المعرفة شرط ضروري للإيمان، بل لا يمكن الإيمان بلا معرفة، فهل يمكن أن يكون الحل المطلوب لهذه المشكلة هو أن يحدد الإيمان بنمط خاص من المعرفة مثلا، أو حدود معيّنة منها؟ ... لا، ليس هذا حلاً صالحاً، إذ أن المعرفة تأبى التحديد الفوقي... فإني أعترف أنني لا أعرف الحل المطلوب... ولعلك كنت تعرفه أنت، وأردت أن تذكره فقاطعتك، أليس كذلك؟

(همّام):- أحسنت جداً وأبدعتَ بقولك: « أن المعرفة تأبى التحديد الفوقي... » ...

آه! بدأنا نتشتت... فإني أجد نفسي مضطراً لغلق هذا الباب مكتفياً بإشارة مختصرة جداً، وهي إن الذي يضرّ بالولاء هو الاختلاف في أصل المعرفة، لا الاختلاف في درجتها، فقد يعرف (ب) - مثلاً - ويعتقد أن جهة معيّنة هي الطريق وإن كان لا يعرف كثيراً من تفاصيلها وعقباتها أو طريقة التعامل معها...، في حين أنه يرى (ج) عالماً بهذا وذاك من الخصائص والتفاصيل...، فهذا الاختلاف ليس مما يفرّق بينه وبين (ج)، بل يجعله أشدّ تعلقاً بـ (ج) وولاءً له، وهذه الحقيقة المعروفة في تعامل النفوس هي أهمّ باب ينفذ منه طلاب العلوّ في الدنيا إلى نفوس الذين لا يعقلون فيستضعفونهم!... بشرح مرير مؤلم للقلب لا مجال له الآن، وإن كان ضرورياً جدّاً للمعرفة.....

وعلى أيّ حال فلأن هذا الباب بمقدار ما هو مهمّ فهو واسع يتطلب كثيراً من الجهد والوقت فإني أغلقه الآن راجعاً إلى المسار الذي كنا نسلكه، فأقول:

إني أرى أن الذي تحسّ به تجاهي إنما هو حبّ متعارف وإن كان من نوع خاص كما ذكرت، وليس الولاء الإيماني الصالح، وقد يعني التهيؤ للولاية كذلك، فإن الولاية القائمة بين مؤمنين صالحين، لا تكاد تحصل بهذه الكيفية، وإنما وفق نظام خاص أشير إليه الآن إن شاء الله:

مثلاً لو أن (زيداً) كان عالماً بوجه الله مؤمناً به متولياً له،
 فرأى أن (عمراً) متولٍ لنفس الوجه بمعرفة، تعلقت به نفسه وتولّته،
 فلا يتولاه زيد المتدين بدين، إلا بعد أن يتصور عمراً ذا خصلتين،
 وهما: كونه عالماً بنفس الدين، وكونه مؤمناً بما يعلم، وكلما كان
 تصوره بوجودهما في عمرو أقوى كان توليه له أقوى وذُله الإيماني
 له أشدّ...، إلى أن يتدرج ذلك التصور فيصل مرحلة يطمئن فيها
 زيد بأن عمراً سوف لا يضل الطريق سواء أعن جهل أم هوّى...

ويتدرج هذا الاعتقاد كذلك ويتعمق إلى أن يصل إلى ما
 يعتقده المؤمن في النبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم
 عليه السلام من العصمة المطلقة، فيجدهما أولى به من نفسه، ولا
 يجدهما كذلك إلا أن يجد فيهما نفسه كلها...، وهنالك كانا كل
 همّة: إن فكر فكّر فيهما، وإن قاتل قاتل في سبيلهما، وإن ذكر أحدا
 ذكرهما، وإن دعا لنفسه بدأ بالدعاء لهما، بل جعل لهما كل دعائه،
 كما في الكافي (٢/ ٤٩١) عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلاً
 أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أجعل لك
 ثلث صلواتي، لا، بل أجعل لك نصف صلواتي، لا، بل أجعل
 كلها لك...»

وبالعكس - أي بعكس الحركة النفسية المنتجة للولاء، والتي
 قد أشرتُ إليه آنفاً - كلما ضعف احتمال زيد لوجود الخصلتين

في عمرو كان توليه له ضعيفا، واعتماده عليه حذرا...

وكما أن تولي (زيد) لعمرو (في المثال) يتأثر بدرجة علم عمرو وإيمانه بالطريق في نظر (زيد)، كذلك يتأثر بدرجة إيمان (زيد) وتمسكه به، فلو كان إيمانه وتمسكه بالطريق ضعيفا كان توليه لعمرو ضعيفا، وكذلك العكس...، وأما معرفة (زيد) بالطريق فلا تأثير لها على ولائه المفروض تجاه عمرو إلا بمقدار ما تؤثر في إيمانه بالطريق، وبما أننا افترضنا زيدا مؤمنا صالحا، فاعتبرنا بذلك إيمانه بالطريق ناتجا عن العلم، لا التقليد وما شابهه من مسالك التعصب، فبذلك كان لمعرفته تأثير غير مباشر على ولائه المفروض تجاه عمرو....

× × × × × × × × × ×

(طالب): - كآني قرأت شيئا من هذا القبيل في مقال بصدد بعض الولايات الشرعية...

(همام): - لو صحَّ هذا الذي زعمتَ وكنتَ قرأتَ من قبل ما يشبه هذا الذي تناولناه الآن فعلا فإنني إذن أغبطك، حيث نلتَ شيئا طالما تميّته ولم أئله، غير أنني أظنك مخطئا في التشبيه، وأن الذي كنتَ قرأته إنما كان مقالا حول الموضوع في جانبه الفقهي البحت، أو ما كان قد تناول أيضا - بسبب أو آخر، وبصورة أو

أخرى - ضرورته الاجتماعية أو السياسية مثلاً، والذي أنويه أنا ليس إلا محاولة لوصف الولاية كمفهوم يؤثر إلى واقع موضوعي تمارسه النفوس عامّة، وسعيًا لاكتشاف ما لها من أسباب وآثار واقعية فعلية، ومن ثمّ التفريق بين مستقيمتها وزائغها على ضوء القرآن والسنة والفطرة، وهذا هو المنطلق الذي أنطلق منه في تعاملتي مع جميع المفاهيم العقائدية بشرح لا مجال له الآن...

فالولاية بهذه الصورة التي أردتُ الإشارة إليها هنا قد تمس ما أشرت إليه من الولايات وتلتقي بها، ولكن لا من الجهة المتعارفة لتناولها...، ألا ترى فرقاً بين الأمرين؟

(طالب):- أجل، وإني أتعجب الآن من غفلتي عن الفرق! فإني أعتذر إليك... لا، بل إني راضٍ عن ملاحظتي الناتجة عن غفلتي التي جعلتك تتكلم بما أثار في ذهني نكتة أتوقع أن تكون ذات تأثير عظيم في تفكيري بعد استيضاحي لمعالمها واستيعابي لها إن شاء الله تعالى، إني أقصد ما أشرت إليه من أن طريقتك في البحث العقائدي هي الوصف بدل الأسلوب المتعارف في البحوث العقائدية، وإني متلهف للفرصة التي تستطيع فيها شرحها لي فحمدًا لله على ما أنعم عليّ بالتعرّف عليك، وإني أرجو أن يجازي الله عني ثابته خيرًا بشفاعته لي إليك، وأرجو أن تتم الآن ما أردتَ قوله قبل أن أقاطعك...

(هَمَام):- أحسنت مرة أخرى بدقتك الرائعة وإخلاصك، وبارك الله في فهمك وذكائك، وعلى أي حال فإن ما قد أشرتُ إليه من النظام الذي يحصل الولاء وفقه لا يختص بالولاء الإيماني الصالح فقط، بل يعمّ الولاء العقائدي مطلقاً، فأَيّ شخصين اشتركا في عقيدة لابد وأن يحصل بينهما ولاء، صالحة كانت عقيدتهما أم فاسدة...

(طالب):- وددتُ أن لا تعبّر عن الذي بين أصحاب العقائد الفاسدة بالولاء حفاظاً على قدسيته، وعلى أي حال فإني لا أتوقع أن يصل الذي بينهم إلى قوة الولاية الموجودة بين المؤمن والإمام المعصوم

(هَمَام):- قد سمي القرآن الكريم الرابطة القائمة بين الكفار بالولاية في عدة آيات، منها الآية ٧٣ من سورة الأنفال، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) ثم وإني أتعجب من أنك لا تتوقع أن يصل ولاء الكافر إلى مستوى ولاء المؤمن تجاه إمامه، فما الذي جعلك تغفل وتتغاضى عما هو مشهود ومنتهى من مظاهر لأعلى درجات الولاء بين الكفار وأئمتهم؟! فهل تعصبت، أم تأثرت بالمقالات التي تتحدث عن ظاهرة (الشهادة) في الإسلام لا كموعظة وذكرى، وإنما بطريقة توحى بكونها دليلاً على صدق الدين الذي كان قد أنتجها؟! ...

إن الفرق بين الولاء الإيماني الصالح وغيره ليس في شدّته، ولا في النظام الذي يتحقق وفّقَه، وإنما في العقيدة التي تنتجها، فإن كانت حاصلة عن تعقل وعلم، كانت عقيدة صالحة فأنتجت ولاءً صالحاً، وإن كانت ناتجة عن تعصّب كانت فاسدة فأنتجت ولاءً ضالاً

ومن الملاحظ المفهوم أن الولاء الناتج عن عقيدة ضالة متعصبة يكون أسهل حصولاً وأوسع انتشاراً من الولاء الناتج عن العقيدة المبنية على العلم والبصيرة، وفي المقارنة بين أصحاب كل من أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية شاهد كاف على ذلك...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- هل لك أن تحدثني عن كيفية تكوّن العقيدة الصالحة المنتجة للولاء الصالح؟ ثم وهل سبب فساد العقيدة هو التعصّب؟ ...

(همّام):- ماذا تقول؟ هل أنت جادّ في اقتراحك بأن نترك الحديث عن الولاية الناتجة عن المعرفة، وننتقل إلى موضوع آخر قد جرى ذكره في الحديث استطراداً؟! إن هذا يشعّرنى بالقلق ويكاد أن يجعلني أشك في نفع الحوار! ... ، وأرجو أن أكون موسوساً

(طالب):- أرجو أن لا تشك، وأن تعتبرني كالذي شفي من عمى طويل، فإنه يريد أن يبصر جميع الأشياء مرّة واحدة، خاصة

وإني أجد موضوع كيفية تكوّن العقيدة شيئاً مهماً لي...

(هَمَام): - على أيّ حال فقد أشرتُ إلى شيء من كيفية تكوّن العقيدة طيّ هذا الحوار وما سبقه، وأما الحديث عنها بتركيز أكثر فهو بحاجة إلى غير هذا المجال، وأما الحديث المفصل المستوعب عنها فهو ليس ميسوراً لي أبداً، لا بسبب ضعفي الشخصي فقط، بل مضافاً إليه لأنه يأبى الاحتواء في نفسه، بشرح لا مجال له الآن وأما التعصّب فأرى أنه لم يتسرّب إلى أصول عقيدة إلاّ وأفسدها، كما ولا ضلال إلا به...

(طالب): - إنك تتكلم ألغازاً كما قال لك الأخ المفتقد عقيل مرّة، وعلى أيّ حال فليس أمامي إلا أن أفكّر فيها، ثم سأرجع إليك لتشرحها لي فنناقشها إن شاء الله....

(هَمَام): - ..هل تعبّت، أم ترغب في أن أرجع إلى الحُبّ الإيمانى الصالح فأوضحه لك أكثر؟

(طالب): - أنا كلّى رغبة وسمّع واهتمام، فهيا وهيا!

× × × × × × × × × ×

(هَمَام): - فإني آتي هذه المسألة المهمّة من باب آخر، وبما أنه لا بدّ لي من أن أمّر بين حين وحين على مسائل كنت قد ذكرتها

هنا وهناك، فالمأمول أن لا تجده تكراراً مملاً، لأن هذا مما لا
مناص منه في البحث الذي يستهدف المعرفة... فأقول: لقد قلتَ
للأخ عقيل: إنك تحبه، أليس كذلك؟

(طالب):- أجل، لقد قلت ذلك، وإني أحبه فعلاً...

(همّام):- أأستطيع أن تصف لي حبك له بأن تذكر سببه؟

(طالب):- لقد وجدته عالماً بالدين فأحببته، ولكنني أحبك أكثر...

(همّام):- دعنا عني، ولنحلّ حبك للأخ عقيل، فهل أحببته
كما أحببت عالماً بمسائل فقهية كثيرة، أو حافظاً للقرآن الكريم،
أو للأحاديث مثلاً، أو من له إلمام كبير بتاريخ حياة النبي والأئمة
عليهم السلام؟

(طالب):- أنا وجدت الأخ عقيلاً مختلفاً في علمه عمّن صادفته
في حياتي، لا فقط في عمق علمه بل في نوعية علمه أيضاً حيث
وجدت أن أفكاره تدخل القلب وتزيد الإنسان فهماً وعلماً وإيماناً...

(همّام):- ذلك صحيح، وقد كنتُ أشرتُ إليه قبل قليل، ولكن
ألم تجد للأخ عقيل عقيدة مضافاً إلى ما لديه من أفكار ذات
خصوصية معيّنة؟

(طالب):- من الطبيعي أنه يؤمن بالأفكار التي يحملها...

(همّام):- فهل أحببته أنت بسبب أفكاره التي تدخل القلب
والخ، أم لإيمانه بها؟

(طالب):- لقد أحببته بسبب الأمرين معا، فإني لو وجدته
مؤمنا من دون فكر، أو حاملا فكري من دون الاعتقاد به، لم أحبه
كما الآن...

(همّام):- بماذا يؤمن الأخ عقيل في نظرك؟

(طالب):- أظنني قد أحببت عليه آنفا حين قلت: إنه يؤمن
بالأفكار التي يحملها، أليس كذلك؟

(همّام):- أترأه يعتقد أفكاره الدينية التي يحملها، أم أنه يعتقد
دينا تجسده أفكاره؟...

(طالب):- أنا لا أرى فرقا بين العبارتين، فهلا بينت الفرق
الذي في بالك!

(همّام):- لو أن الأخ عقيلاً كان يعتقد أفكاره الدينية، فإني
أراك قد عرفت عقيدته بمقدار ما كنت قد اطلعت على أفكاره
في ذلك المجلس، وبما أنك أيضا اعتقدت تلك الأفكار، فإذن
صح لك أن تحبه، وأما لو أنه يعتقد ما تؤشر إليه أفكاره فلا أظنك
قد عرفت ما يعتقد به بمجرد ما اطلعت على أفكاره المتجزئة

التي قد طرحها آنذاك، فكيف تسنى لك أن تحبّه لعقيدته من دون أن تعرفها؟! ...

(طالب):- أراني محتاجا إلى توضيح أكثر...

(هَمَام):- إن معظم ما كان قد عرضه الأخ عقيل هنالك إنما كان مجرد معلومات وأفكار دينية غير منتظمة، ولم يكن أي منها يدلّك على ما يعتقد، فإن الذي يجسّد عقيدة المرء هو طريقته لتنظيم المعلومات في اتجاه أفكار معيّنة، ثم صياغته للأفكار صياغة تؤشر إلى ما يعتقد ويدعو إليه، ولم يكن الأخ عقيل قد فعل ذلك في ذكره للمعلومات وطرحه للأفكار، ألم تلاحظه أنت؟

× × × × × × × × × ×

(طالب):- ألم يكن عليك أن تجيب - قبل هذا - على السؤال التالي وهو ما المانع من أن يعتقد المرء أفكاره ويؤمن بها ما دامت صحيحة؟

(هَمَام):- نعم، لقد ذهلتُ عنه، وعلى أي حال فإن المانع لذلك هو أن أفكار المؤمن ليست منفصلة عن بعضها ليستطيع الإيمان بها كذلك، وإنني أحاول شرحها لك فيما يلي:

كنتُ قد أشرتُ في بداية هذا الحوار أن ما يفكر ويجهّز الفكر إنما هو ذهن الإنسان... وذكرْتُ آنذاك أن الذهن إنما يخضع

لأوامر النفس في اتجاه التفكير ومساره، فإن النفس هي التي تقود الذهن إلى الجهة التي تنزع إليها، وتطلب منه أن يجهّز لها ما تحتاجه... ، ومن جانب آخر فقد كنتُ ذكرتُ أيضا - وفي بدايات الحوار السابق - : أن للنفس نظاما خاصا في تلقي الأفكار والمفاهيم والاعتقاد بها، وهو أنها تضمّ الأفكار التي تتلقاها إلى بعضها وتخلطها، وتتغذى وتنمو بحصيلة جميعها... ، أتذكرُ هذا؟

(طالب):- أجل، إني أذكره، فاستمرّ...

(همام):- بناء على ذلك فإن الذي في النفس ليس أفكارا منفصلة عن بعضها، وإنما خليط منها، بل إن الموجود فيها ليس إلا حصيلة تلك الأفكار ونتيجتها، كنتيجة ما يتغذى به بدن الإنسان المتمثلة في نموّه...

وأما ما هو موجود في الذهن من الأفكار قبل انتقالها إلى النفس لتذوب فيها، فهي وإن كانت منفصلة، ولكنها ليست حائلٍ مما يُعتقد، فإن ما يقوم به الذهن ليس هو الاعتقاد، وإنما مجرد التشخيص المحايد لصواب فكرة عن خطئها وتقييمها وفق مقاييس موضوعية منطقية معينة كما قد يفعله الكمبيوتر مثلا

وأما في ما يقوم به ذهن المؤمن من اختيار الفكر الصالح وتجهيزه لتمريره إلى النفس، فهو كذلك لا يعتقده، وإنما يعتبره

صالحا ومناسبا لتعتقده النفس وحسب، بل وإن ذهن المؤمن لا يجهّز الأفكار للنفس إلا وقد ربط بعضها ببعض، فلا يمكنه حائِثٌ حتى مجرد تقييم كل فكرة بمعزل عن الأفكار الأخرى... هذا، وإنني أرى أن ما ذكرته هنا كغيره من أعمال الذهن والنفس قابل للرصد والتأكد الشخصي، فلو كان الشخص قد فعل ذلك فهو، وإلا فإنه سوف لا يرى هذا إلا مجرد ادّعاء، وأظنني كنت قد أشرتُ إلى هذا فيما سبق، أتذكر ذلك؟

(طالب):- أجل، إنني أذكره، وكنت قد وافقتك على ذلك، وإنني أجد هذا الذي ذكرته الآن صحيحا برصدي لنفسي، فلا تتقل الآن إلى السؤال التالي: لم لم ينظم الأخ عقيل أفكاره بحيث تؤشر إلى عقيدته، فيعرضها كذلك؟

(همّام):- لأنه لم يكن يعرفك فلم يكن يستطيع أن يدعوك إلى ما كان يعتقد من حق...، ألم تر أنه لم يستطع الاشتراك في الحوار، وإنما كان يستجيب لنا فيما كنا نطلبه منه فقط، كما يفعل الكومبيوتر، وهذا كان أحد الأسباب التي جعلته يتصور أن الحوار كان ذهنيا...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- ألا يحق للمؤمن أن يعرض عقيدته إلا على من

يدعوه إليها فقط؟! ثم وهل يشترط في دعوة امرئ إلى حق أن يعرفه؟! (همّام):- أرى أن أهمل هذا السؤال رغم كونه مهمًّا جدًّا، وذلك خوفاً من التشتت والضياع ... ، ولأرجع إلى ما قصدته وهو أن ما تشعر به تجاه الأخ عقيل ليس ذلك الحب الإيماني الخاص الذي يكون بين المؤمنين، والذي هو من أعظم شعب الإيمان كما في الكافي (١٢٥ / ٢) وتترتب عليه تلك الحقوق العظام المذكورة في الروايات، كما في باب حق المؤمن المذكور في الكافي أيضاً، وأما هو من جانبه، فلا أظنه يشعر تجاهك بأيّ حب، كما ونفسي أيضاً لم تستطع أن تحبّك بعدُ وإن بدأت بالتهيوّ له

× × × × × × × × × ×

(طالب):- سبحان الله! ما أغبانني! لقد اعتبرتُ بعض كلامك عني دليلاً على حبك لي!

(همّام):- أجل، إني - كما قلت آنفاً - قد وجدتُ فيك فهماً جيّداً واهتماماً كبيراً بالفكر، فارتحت لك وأنست بك، بل وسُعدتُ، ولكن رغم ذلك بقيت نفسي مترقبة حذرة تجاهك، ولم تنفتح عليك بعدُ، لأن تجاربي قد أثبتت لي أنه كلما كان المرء أكثر ذكاءً كانت أفكاره أكثر عرضة لخطر (الذهنية)، والأفكار الدينية تكون أضرب شيء إذا تحوّلت إلى ذهنية...

ومهما كان من أمر فإني لا أظنك تتولّى الأخ عقيلًا - بعدُ -
لتجد من حقه عليك - مثلاً - « أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته
وتطيع أمره » مع أمور أخرى مذكورة في رواية الكافي (١٦٩/٢)
عن الإمام الصادق عليه السلام، وغيرها من الروايات... ألا تجد
في نفسك هذا؟

(طالب):- لقد أخطأت هنا، فإني معترف بالحقوق التي
تضمنتها تلك الروايات، وهي واجبة كما في صريح بعضها، وما
كنت أتوقع أن يتهمني أحد بشيء كهذا!

(همّام):- إنما أشرت إلى الروايات لا للاستناد، بل للاستشهاد
والتوضيح، ولم أتصوّر أن ذكرها سيشوش الحديث في نفسك...،
ولإزالة هذا التشويش الحاصل أقول: أراك مخطئاً في فهم
الروايات المشار إليها حيث تصوّرت أن الحقوق المذكورة فيها
واجبة وجوباً فقهياً كوجوب الصلاة والصيام، في حين أنها ليست
كذلك، وإلا لأفتى بها الفقهاء، فلم يكفك حينئذ أن تعترف به فقط،
بل كان عليك أن تعمل به حرفياً وتطبقه بحذافيره كأني واجب من
الواجبات الفقهية المختلفة...

(طالب):- أعتذر من مقاطعتك لأقول: أنا لا أكتفي بمجرد
الاعتراف بتلك الحقوق، وإنما أسعى إلى العمل بها أيضاً، وليس

على المرء إلا السعي حتى في مورد الواجبات الفقهية المحددة كالصلاة مثلا، أليس كذلك؟

(همّام):-. يبدو أن الخلط الحاصل أشدّ مما تصوّرتُ، وأخاف أن يخرج علاجه الحديث عن طوره، ومع ذلك فلا بدّ من رتق هذا الفتق الحاصل فأسألك: أليس سعيك للواجب الفقهي كالصلاة مثلا سيستتبع حصولها في الخارج - عادة - بجميع ما لها من حدود واجبة، في حين أن سعيك للحقوق المذكورة لا يمكن أن يحقق إلا شيئا منها، والمفروض أن الواجب ليس شيء منها بل كلها؟ وهذا يدل على أن تلك الحقوق ليست واجبة كالواجبات الفقهية إن وجوب تلك الحقوق يعني أن المؤمن يجد ضرورتها في نفسه فينعكس ذلك في سعيه تجاه إخوانه كعلائم وثمار لإيمانه، فمن لم يجدها تجاه شخص معين فهو لا يشاركه في ما يؤمن به، وكلما كان إيمان المؤمن بأمر أشدّ كان إحساسه بحقوق المؤمنين الذين يشاركونه في الإيمان أشدّ، كما في الكافي (١٢٧/٢) عن الإمام الصادق عليه السلام: « ما التقى مؤمنان قطّ إلا كان أحدهما أشدهما حبّا لأخيه »، والحبّ أصل شجرة الحقوق الإيمانية كلها كما يدل عليه ما في الكافي (٢٠٢/٢) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « ... أما إنه يحقّ عليك أن تحبّ من يحب الله، أما والله لا تنفع منهم أحدا حتّى تحبّه ... ».

أرجو أن يكفي هذا المقدار من الكلام في علاج الخط، ما رأيك؟

(طالب):- إنه وإن أثار بعض التساؤلات في نفسي، لكنه عالج المشكلة فعلا، بل ونفعني كثيرا بأن فتح لي أبوابا جديدة للعلم، وجعلني أكثر حبا وشكرا لك...

× × × × × × × × × ×

(همام):- فلاكّرر إذن سؤالي، وهو: ألا تجد أنت من نفسك أنها لا تتولّى الأخ عقيلًا بعد؟

(طالب):- الآن وبعد أن عرفت شيئا من الولاية أرى أن ما كنت قد شعرتُ به في الجلسة السابقة تجاه الأخ عقيل لم يكن توليًا، وإنما كان حبا من نوع خاص، وأما الآن فأجده قد زاد رسوخا واشتدادا في نفسي، وأرجو أن يكون بذلك الولاء الإيماني الصالح المطلوب، أو بدايته

(همام):- قد يكون كذلك، أتحبّ أن أسألك سؤالا يساعذك على تشخيص حبك للأخ عقيل، ومن ثمّ يبلور المعرفة في ذهنك؟

(طالب):- أجل، إني أحب ذلك، فهيا

(همام):- هل تنتظر من الأخ عقيل أن يبادلك الحب فيحبك كما تحبه أنت، ويرى لك من الحق على نفسه كما تراه أنت له من

الحق على نفسك؟ فماذا لو لم يحبك ولم يهتم بك ولم يؤدّ لك
حقاً من الحقوق الإيمانية، فهل يؤثر ذلك على اهتمامك به؟

(طالب): - أجل، إنني أنتظر منه أن يحبني من جانبه، وأظن أن
عدم اهتمامه بي سيؤثر على موقفني منه، أليس هذا طبيعياً؟

(هَمَام): - هذا يشير إلى أنك لم تصل بعد لتتولى الأخ عقيلًا،
فإنك لو كنت قد تولّيته لما انتظرت منه أن يعاملك بمثل ما يفترض
أن تعامله به أنت من التنسيق والاتباع والاهتمام، وذلك لكونه أكثر
علماً بالطريق الذي يفترض أن كليكما تؤمنان به، فلا يصح له (بل
لا يكون) أن ينسق معك ويتبعك إلا أن يعتقد بأنك أكثر علماً منه...

(طالب): - أراك غير واقعي في هذا الكلام، فإني لا أكاد
أتصور إنساناً لا يتأثر باهتمام من يحبه وإن كان حبه خالصاً في الله

(هَمَام): - إنني أوافقك على أن التأثر بالاهتمام الطبيعي لا يكاد
يخلو منه أحد من الناس وإن اختلفوا في درجته، غير أنه ليس
مما ينافي التوليّ الإيماني الصالح، فقد يتولى المرء إنساناً وهو
متأدّب منه بسبب شهواني أو عاطفي...، وهذا هو الذي يتوقع أن
يحصل - بدرجّة أو أخرى - لأي مؤمن

ومهما كان من أمر فإن وجدت نفسك أحبت الأخ عقيلًا وارتبطت
به كما قد بيّنتُ لك، ولم يؤثر على اتباعك له إن وجدته من جانبه

لا يعاملك بالمثل، ولم تتوقع منه ذلك... فهناك كان حبك له
 حُبًّا إيمانيا اسمه الولاية...، ولا أظنك تجدها كذلك إلى الآن،
 وليس ذلك إلا أمرًا طبيعيًا ما دمت لا تعرف إلى الآن الطريق الذي
 يسلكه الأخ عقيل

وأظن وأرجو أن لا يجعلك هذا الكلام لتتهمني بأني أعظم
 صاحبي عقيلًا وأدعو إليه، فإن ما قلته لم يكن إلا محاولة وصف
 لظاهرة الولاء الديني وفق حركتها الطبيعية، وما ذكرته من أمثلة
 إنما كان للتبسيط والتوضيح، وإن لم يزل غامضًا معقدًا رغم إرادتي!
 وأخيرًا فإني أظنك تعلم أيضا أن هذا الذي ذكرت ليس إلا
 مجرد إشارة سريعة إلى شعبة من شعب الولاية الكثيرة، وأن الحديث
 الشامل يتطلب مجالا آخر، بل لا يتوفر لي أبدا، فإني كلما تدبرتها
 انكشف لي شيء جديد، بل انفتحت لي أبواب جديدة...

× × × × × × × × × ×

(طالب):- كأنك تريد أن تنهي الحديث، ولكن حديثك قد
 رغبني في الولاية والحب الإيماني، فهلا ذكرت لي كيفية الحصول
 على ذلك، فإني إليه لمشتاق

(همام):- إن الحب الإيماني الصالح بالصورة التي كنت قد
 أشرت إليها طيَّ الحديث ليس إلا ثمرة لإيمانٍ ناتج عن معرفة

صالحة، فبابه الوحيد هو المعرفة المنتجة للإيمان، فعليك بها، ولكن حذار أن تطلب المعرفة للوصول إلى الحب المذكور أو أي شيء آخر فإنها إذن ستغلق عليك، إذ أنها تأبى الانفتاح إلا على من يطلبها لذاتها لا لشيء آخر وإن كان من نتاجها!

فلو كنت قد رغبت في الحبّ الإيماني فعلمت أن الطريق إليه هو المعرفة، فطلبتها للوصول إليه، فإنها سوف لا تثمره لك، وذلك لأن ما قد تحصله إذن سوف لا يكون إلا مجرد صورة كاذبة للمعرفة، والمعرفة الكاذبة لا تثمر الإيمان والحبّ...

وأما لو كنت قد رغبت في المعرفة وأحببتها لذاتها، فحيثُ كان تعاملك مع المعرفة تعاملًا صحيحًا، فستفتح لك إذن أبوابها، فتنال منها ما شاء الله أن تنال...

(طالب):- كيف يمكنني أن أحبّ المعرفة لذاتها فقط من دون أن أحب الولاء الذي من ثمارها، في حين أنني أهتم به وأرغب فيه، وأن الذي جعلني أشتاق إلى المعرفة بهذه الدرجة إنما هو حبّي للولاء، حيث علمتُ أنها هي التي تثمر الولاء، فرغبت فيها، أفهمُني؟

(هَمَام):- هل شوقك إلى الولاء هو الأساس الآن لرغبتك في المعرفة، وأنت إنما تحبها لا لشيء إلا لكونها وسيلة لإنتاج

الولاء فقط، أم أنك أخذتَ تحبها لنفسها بعد أن كان الولاء هو الذي قد دَلَّك عليها وعَرَّفَكَ بها باعتباره ثمرة من ثمارها؟

(طالب):- إني أراني أحب المعرفة لنفسها الآن، بل أتصور أن قلبي كان متعلقا بالمعرفة وراغبا في العلم من قبل، وإن كنت غافلا عن ذلك التعلق، فقد كنت أندفع به وأتصرف وفقه، ولم يكن اهتمامي بالتحدث معك إلا مظهرا من مظاهر الرغبة في العلم الكامنة في نفسي...، هل هذا التصور صحيح؟

(هَمَّام):- لقد أحسنتَ جدًّا في انتباهك إلى هذا الأمر المهم، وأيضا في تمكّنك من بيانه...، وعلى أيّ حال فإن الأمر كما تصوّرتَ، وإن كثيرا من التصرفات التي يقوم بها الإنسان إنما هي نابعة في أساسها عن نزعات فطرية كامنة في النفس، وليست المعرفة إلا ذكر تلك النزعات ومساراتها، وما يهديها وما يضلها...

(طالب):- كأنك قد أشرتَ إلى أمر مهمّ جدًّا، وإني راغب في أن توضحه لي، قدر ما يسمح به وضعك ووقتك

(هَمَّام):- إني أذكر مثالا واحدا لهذا الأمر الذي هو حقا مهمّ جدًّا، وأظن أن ذلك سيفتح لك بابا إليه وأنت عاقل فطن بصورة ملفتة، وقد تأكد لي اهتمامك المخلص بالدين فبدأت نفسي تنفتح عليك، وكأن حبك بدأ يظهر في قلبي....

أما المثل فهو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في موقفه يوم الغدير... فمثلا في كتاب (الخصال ٦٥) أنه (ص) قال - في ما مهّد به لبيان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام - :

« ... وإني أشهدكم أنني أشهد أن الله مولاي وأنا مولى كل مسلم، وأنى أولى من المؤمنين بأنفسهم، فهل تقرون لي بذلك وتشهدون لي به؟ فقالوا: نعم نشهد لك بذلك... »

إني أسألك فأقول: أترى أن المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وآله لم يكونوا قبلئذ يجدونه مولاهم، ليطلب منهم الإقرار، وهل من المعقول أنهم لم يكونوا يعاملونه كمولى في حياتهم اليومية وهم مؤمنون بنبوته؟

(طالب):- من الطبيعي أنهم كانوا يعلمون ويعملون كذلك، والذي قد فعله النبي صلى الله عليه وآله كان توضيحا وتأكيدا للمؤمنين، وإتمام حجة على الآخرين، فهل ترى غير هذا؟

(همام):- أجل، إني أرى أن المؤمنين كانوا يجدون في نفوسهم من قبل بأن النبي صلى الله عليه وآله مولاهم، بل ولا بدّ من أنهم كانوا يمارسون ذلك في حياتهم اليومية، ولكنهم مع هذا وذاك لم يكونوا يشهدون بذلك، أللهم إلا قليلا منهم، أي أن ما كانوا يمارسونه لم يكن حاضرا في وعيهم، أي أنهم لم

يكونوا (يعرفون) ما كانوا يمارسونه، ولا يجعل المرء على الهدى مجرد ممارسته لحقّ من دون أن يعرفه ويشهد بذلك، كما في رواية الكافي (٣٨/٢) عن جميل بن درّاج حيث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان، فقال: « شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ». قلتُ: أليس هذا عمل؟ قال: « بَلَى ». قلتُ: فالعمل من الإيمان؟ قال: « لَا يَتَّبِعُ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مِنْهُ » ...

(طالب):- وددتُ أن تذكر لي دليلاً على أن هذا الذي ذكرته هو المقصود بالرواية؟

(همام):- إني مطمئن إلى سلامة الفهم المذكور، ولكني لا أستطيع إثباته لك بدليل محدد... ، وعلى أيّ حال فإنني لم أذكر النص لأستند إليه وأؤسس عليه الفكرة المذكورة، وإنما أردتُ أن أوضحها من خلاله، فهو بذلك لا يتطلب إثباتاً....

وأظن أننا قد توسعنا في الحوار كثيراً، فلا بدّ من إيقافه، أليس كذلك؟

× × × × × × × × × ×

(طالب):- إضاعة الفرصة غصة، لكن يبدو أنك قد تعبت،
فإننا لله وإنّا إليه راجعون

(هَمَام):- ليس المانع الرئيس عن الاستمرار في الحوار هو التعب، وإنما التوسع الموجب لتخمة النفس الخطرة، ولعلّ مما يشير إلى هذه الحقيقة الواضحة ما في الكافي (١/ ٤٤) أنه « جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله مسائل، فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال علي ابن الحسين عليهما السلام: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبهِ إلا كفراً، ولم يزد من الله إلا بعداً »

هذا إذا فسّر العمل بالاعتقاد، وليس ذلك ببعيد...

وذكرت الرواية للاستشهاد بها، لا للاستناد إليها، فلا يضر كونها ضعيفة

(طالب):- أنا لا أشعر بثقل الحديث على نفسي، فلا تخمة إذن، أليس كذلك؟

(هَمَام):- أخشى أن يكون سبب ذلك أن ذهنك أخذ يتعامل مع الحوار كسمر فكري، والذهن لا يستوخم الفكر مادام لا يجهّزه للنفس

(طالب):- فهل تحدّد لي موعدًا لتوضح لي بعض المسائل التي كنت قد أشرتَ إليها في هذه الجلسة ولم تشرحها، كالتأثير السيئ الذي نسبته إلى كثرة قراءة المرء للمقالات الفكرية، وكيفية اشتراك شخصين في طريق هما يختلفان في درجة معرفته، وما عبّرت عنه بطريقة (الوصف) في المعرفة، والعلاقة بين التعصب والضلال، ونكات أخرى كثيرة

(همّام):- إن ما تناولناه في هذه الجلسة كان يكفي - بإجماله - ليدلك على الملامح العامّة للطريق الذي أنا سالكه، وأنت عاقل فطن مطلع على المسالك الفكرية، فإن تدبّرت الأمر فألممتَ بالطريق رغم إبهامه لك بعدد، واعتقدته بإجماله فبدأت نفسك بالتفاعل معه والتحرّك في اتجاهه - وهذا ما أتوقعه - فمن الطبيعي إذن أن يجد كل واحد منا الآخر... ، فلا حاجة إذن لتحديد موعد خاص للقاء

وأما لو أن ما دار في هذه الجلسة لم يستطع أن يجعلك في بداية الطريق الذي أنا سالكه فإني إذن أرتاب في أمرك، وأشك في أنك هل تبحث عن طريق للهدى أم عن أفكار للتداول الذهني فحسب... ، فعلى هذا أيضا لا أرى حاجة إلى موعد آخر، وأرجو وأتوقع أن لا يكون هذا الاحتمال صحيحا... ، فإلى اللقاء أو الفراق! ...

(طالب):- أرجو أن لا تهددني بالفراق، فإني أحببتك جداً ولا أريد الابتعاد عنك، بل لا أطيقه...

(همّام):- أنا لم أهددك، وإنما وصفتُ لك نفسي، وكاشفتُك طريقة التعامل معي، وإني أخاف هذا الحب الذي تشعر به تجاهي، وأحذرك منه فقد يجعلك تتكلف التبنّي لما أعتقده من دون أن تنتبه فتخسر بذلك نفسك، وتسبب لي كثيراً من اللوم والأذى! أَللّهُمَّ إلا أن يكون حباً في وجه الله الذي أنا سالكه فكان بذلك نعمة عظيمة...، وأرجو أن يكون كذلك

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

والحمد لله رب العالمين

١١ / جمادى الأولى / ١٤١٧

انتقاد

١٣ / شعبان / ١٤١٧

إلى السيد / محمد علي باقري الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بعد قراءتي لما نشرتموه في كراستكم الإمامة واللباس، جوانب من المعرفة الدينية، ورسائل ومقالات في المعرفة الدينية والاعتقاد: -

أ - تولدت عندي أمنية شديدة كانت موجودة في نفسي وهي أن تكون لدي الوسيلة للاتصال بالإمام (عجل الله فرجه) لأعرض عليه سلوكي وأخلاقياتي وأعرف منه ما هو صحيح وما هو غير صحيح لأغيّره قبل وفاتي.

ب - أرى أن أسلوب الحوار الذي اتبع في الكراستين الأولى والثانية فيه شيء من التصنع مما يشتت الذهن عن صلب الموضوع المطروح للبحث، فأقترح أن يكون عرضاً متسلسلاً مع بعض الأمثلة لتقريب الموضوع للفهم

ج - أن لغة الكراسات اتسمت بصعوبة العرض فإن كان المقصود منها النفع العام فإنني أراها كتبت بأسلوب صعب وقد يكون مملاً وي طرح جانباً لمن لم يستوعبه. ولولا قراءتي لها

عدّة مرّات ومعرفتي المسبقة بمتبنياتكم وأسلوبكم لما فهمتها
ولما صبرت على قراءتها. فأقترح أن يكون أسلوبها بسيطاً
ومفهوماً حتى يمكن أن يقبل على قراءتها عدد أكبر من المؤمنين
وقد تعم الفائدة

د - بالنسبة لي شخصياً فقد بلورت لي بعض المفاهيم التي
أدعو الله سبحانه أن أكون بها على الطريق المستقيم.
وفقكم الله. وغفر لنا ولكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

× × × × × × × × × ×

التعليق

بسم الله الرحمن الرحيم

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

(أ) - لم أفهم مقصودك بالضبط من الفقرة (أ) في رسالتك،
فهل أردت أن تقول: إنك لم تجد في الكراسين ما ينفعك فترسخت
بذلك عقيدتك السابقة بأنه لا طريق إلى المعرفة غير سؤال الإمام
عليه السلام نفسه، فاشتدت أمنيته لأن تلتقيه فتعرف به الصحيح
والباطل من أخلاقك وسلوكياتك؟ أم أنها استطاعت أن تبلور

الحق في نفسك فاشتدت رغبتك للعمل به فشعرت بالحاجة إلى
وليّ يأخذ بيدك ويقودك للعمل بما عرفت؟

لو كانت مشكلة امرئ هي معرفة الحق من الأساس، أي أنه
لا يستطيع أن يعرف الحق إلا بأن يبينه له الإمام عليه السلام
بالتفصيل وبوضع النقاط على الحروف، فإني أراه مخطئاً في هذا
التوقع بسببين رئيسيين: الأول: أن من كان كذلك فإني لا أظنه
يستطيع أن يعرف الإمام عليه السلام نفسه حيث أنه لا يُعرف إلا
بالحق، والثاني: أن معرفة الحق لا تتم لأحد بهذه الطريقة،
وإني كنت قد أشرت في المقالات السابقة إلى المسار الذي لابدّ
وأن تمرّ المعرفة عبره...

ولو كانت المشكلة هي التطبيق فإني أظن التوقع بالصورة
المذكورة في الرسالة غير واقعي حتى ولو أمكن افتراض كونه صحيحاً
في نفسه، إذ لا يتوقع أن يتكفل الإمام (ع) بيان الصحيح والخطأ
من سلوكيات وأخلاقيات كل فرد من الراغبين في الصلاح، وإنما
الذي يُتوقع هو أن يبين الإمام القواعد العامة التي يستطيع أن يعرف
بها الناس بشكل عام السلوك الصالح والطلّاح، وهذا متوفّر الآن
في القرآن والسنة وإن كان أكثر الناس لا يكادون يعرفونه الآن، بل
وإن كثيرين لا يستطيعون معرفته، فإن الآفاق قد أغامت، والمحجة

قد تنكرت... فحضور الإمام سيساعد هؤلاء على المعرفة، ويسهلها
للذين يستصعبونها، ويعين الذين يعرفون على الاستزادة...

× × × × × × × × × ×

(ب)- ما تعمده الكراس الأول والثاني هو في الأساس
مساعدة القارئ على المعرفة، وبما أن المعرفة هي عبارة عن فهم
أصول المسائل بما لها من فروع، وفروعها بما لها من أصول، فهي
لا تحصل إلا بحركة الفكر الشجرية أي بحركته من الأفكار الفرعية
إلى أصول تتربط عندها الفروع وتتغذى منها، ومن الأصول أيضا
إلى فروعها...، ولذلك كان الكراسان يحاولان الإشارة إلى أكبر
قدر ممكن من المسائل التي يفترض أنها مترابطة على خلاف ما
تبدو في النظر البدوي، وذلك لكي يتتبع القارئ إليها فيتابع
كل مسألة صعودًا إلى مسائل متفرعة منها، ونزولًا إلى الأصل الذي
تتفرع منه وتلتقي عنده بمسائل أخرى...

× × × × × × × × × ×

أظنك تصورت (مثلا) أن صلب الموضوع المطروح للبحث
في الكراس الأول هو (سبب لبس الإمام للثياب الغالية)، فتوقعت
أن يدور الحديث كله حوله وأن لا أتطرق إلى أي أمر آخر غير ما
يساهم في تبين ذلك الموضوع...، فلما رأيتني تطرقت - مثلا -

إلى مسألة النفس وكيفية تعاملها مع الأفكار وجدّتي تصنّعت
التطرق إلى مسائل غير مرتبطة بصلب الموضوع المذكور، فرأيت
أن ذلك مما شتت ذهنك عن التركيز على المسألة الرئيسية...

إن كان هذا هو الذي قصدته فأنت على صواب في إشكالك لو
كنتُ أستهدف بالكراس تجهيز فكرة أو أفكار معيّنة بغية نقلها إلى
ذهن القارئ بأوضح صورة، وترسيخها فيه بأسهل طريقة...، وبما
أن هذا النمط من التجهيز لا يحصل إلا بعزل الفكرة (أو مجموعة
من الأفكار) المراد تجهيزها عن بقية الأفكار والمجموعات،
(إفرادها) كوحدة مستقلة غير مرتبطة بالوحدات الفكرية الأخرى،
فكان عليّ أن أسلك نفس الطريق المسلوكة في المقالات الفكرية
المقروءة والمسموعة الشائعة الرائجة بشكل عام

فكلّما كانت عملية عزل الفكرة (أو مجموعة من الأفكار)
المعروضة وفصلها عن غيرها أتمّ كان العرض أفضل وأصلح
وعملية النقل المطلوب أنجح وأسهل

ولكني حيث أرى أن هذا الأسلوب في التعامل مع الفكر
الديني يخنق الأفكار ويحوّلها إلى جثث ميّنة وأشلاء مبعثرة لا
تعين أحدا على هدى إن لم تصدّه عنه، بشرح ليس مجاله الآن،
فقد اتخذت مسلكا مختلفا وهو التركيز على روابط الأفكار وإظهار

تلك الروابط وكشفها بدل أن أخفيها أو ألغيتها لتستقل الأفكار عن بعضها فيسهل بذلك تناولها وتداولها

وبما أنه لا بدّ لي من اختيار فكرة (أو أفكار) رئيسية في كل بحث مكتوب أو ملفوظ، وبما أنني أخاف أن تنفرد تلك الفكرة المختارة من إطارها فتنقل إلى ذهن القارئ (أو المستمع) متورمة... فأرى أن عليّ إذن ذكر إطارها بإلقاء الضوء على ما لها من الارتباط الشجري بالأفكار الأخرى، وبما أن إظهار جميع روابطها مع الأفكار الأخرى غير ممكنة من جهة، ومن جهة أخرى فإنني لا أرى التجهيز حتى في علاقات الأفكار الدينية وروابطها لكونه منافيا للحركة الذاتية التي لا بدّ منها في طلب المعرفة...، فإنني لا أجد مناصا من ذكر بعض المسائل لألمح من خلالها إلى وجود رابطة بين الفكرة المركز عليها في البحث وبين أفكار أخرى آملّا في أن يدعو ذلك القارئ (أو المستمع) إلى البحث عما بينها من رابطة مباشرة أو بواسطة...

أجل، إن هذا ما أفعله في أحاديثي بشكل عام، مضافا إلى لفت الأنظار إلى وجود الروابط وضرورة اكتشافها، وهذا هو السبب الأهمّ في حصول الظاهرة التي لاحظتها أنت ولاحظها غيرك خصوصا الذين لم يستمعوا لي، فكمثال قد أُخبرت أن شخصا قد اطلع على الكراس الأول مما كتبتة فقال: ما كل هذا اللف

والدوران والتعقيد؟! فقد كان يكفي أن يلخص الكاتب الموضوع كله في ورقة، بل في أقل...

وقد يتضح هذا بأن أقول: إنني لما أختار فكرة دينية معيّنة للبحث، فإني لا أستهدفها بذاتها، وإنما لأتخذ منها جسراً للعبور إلى المعرفة، وإلا لم أهتم بها، فمثلاً إنني لم أركز في الكراس الأول على لباس الإمام عليه السلام إلا لأدعو القارئ إلى فهم القاعدة العامة للباسه، ولم أكن أدعوه لاستنباط تلك القاعدة إلا ليتعرف على دعوة الإمام، ولم أكن أهتم بمعرفته لدعوة الإمام إلا لتدله على وجه الله عزّ وجلّ...

لأن يدلّ اللباس أحداً إلى دعوة الإمام عليه السلام لا بدّ من أمرين متداخلين: أن يركز على اللباس ليعرف أسبابه وآثاره في الأنفس والآفاق، وأن يكون متنبهاً حذراً في نفس الوقت لئلا يتورم اللباس في نظره بسبب التركيز عليه فيتحوّل بنفسه إلى هدف رئيسي بدل أن يعامل كمؤشر إلى مسألة أخرى ومعلم من معالم الطريق إليها... وهي موازنة حساسة صعبة قلما يفلح المرء في الحفاظ عليها في أي بحث من البحوث النظرية

فلأنني أردت مساعدة القارئ في التحرك نحو معرفة دعوة الإمام (ع) انطلاقاً من اللباس فكان عليّ أن أفعل شيئاً معاً: أن ألفت

نظره إلى اللباس من جهة، ومن جهة أخرى جعله لا يَنكَبُّ على اللباس باعتباره هدفاً بنفسه، فلذلك حاولت أن أجعل ذهنه دائم الحركة وسط مجموعة من مسائل مترابطة بدل شدّه باللباس وحده، كما وأني استهدفت لفت نظره ومن ثم دعوته إلى أن يفعل كذلك مع جميع الأفكار الدينية إن أراد المعرفة

× × × × × × × × × ×

(ج)- أعترف إجمالاً بالمشكلة التي كنت قد ذكرتها في الفقرة (ج) من رسالتك وقد ذكرني بها كثيرون، ولعلّ أظرفهم من كتب لي قائلاً:

«ألا تعتقد بأن بعض الأحاديث والمقالات أشبه بالطلاسم!

لما ذالوا يحاولون أن تبسطوا الطرح لحساب الوضوح وإن كان على حساب الإيماء بالقوّة والعمق والعبقريّة!.. أليس ذلك أنفع..» وقد أجبت عليه في حينه بما أكتفي الآن باستنساخه هنا بنصه:

«... إنك ظننت بي ظناً حسناً حيث تصوّرتني قويّاً قادراً على تبسيط الحديث وتوضيحه، ولست كذلك مع الأسف...، وكنت قد كتبت قبل أكثر من سنتين في نهاية كُرّاس باسم [التعاطف مع الإمام الحسين (ع)] ما نصه: (وبهذا أختتم هذا الحديث الذي طال أكثر مما توقّعتُ، وتعتقّد في بعض نقاطه

على خلاف ما أردتُ، فقد أردته سهلاً في أسلوبه خفيفاً على
الذهن... ولكنه (الضعف) الذي يحول بيني وبين رغباتي دائماً
وفي جميع أموري.... ولا حول ولا قوة إلا بالله

أجل، رغم أنني أراك مبالغاً كثيراً في تشبيهك لأحاديثي بالطلاسم
أعترف بأنني ضعيف...، وإنني أعاني من هذا جداً، فقد يحصل
أن أغير صياغة عبارة مرات عديدة، لا لأعقدها بل لأبسطها، فلا
أوفق فأحذف الفقرة كلها وأنا آسف!... فلا قوة ولا عبقرية لأومي
إليهما!..

وأما العمق فليس مما أفخر به ولا أرتاح له، وكما في المثل:
«مكره أخوك لا بطل» فإن ذلك مما قد اضطررنا إليه إمامة الضلال
الرافضة لله واليوم الآخر والمتوغلة في أعماق النفوس...، فلو
كانت الإمامة لإمام المتقين لم تكن حاجة لكثير من هذا العمق،
فهو مما يذكرني بالظلم والظالمين، ويشعرنني بافتقادي لأئمة الهدى
عليهم السلام.....

هذا وقد كتبت في مقال سابق منشور ما يجعل القارئ (أو
المستمع) يستصعب المقال الذي يتناول جذور المسائل لتعليم
الفكر، لا لتلقينه...، وإليك مقطع منه بنصه:

(... ب): وإذا كان (ف) قد تمكن من اجتياز العقبة السابقة

فتفهم الفرق بين المقال الجديد والمقالات الفكرية الأخرى التي هو كان قد عهدا، فإنه - إذن - سيواجه عقبة أخرى في الطريق، وهي صعوبة المقال حيث يتطلب بطبعه كثيرا من الدقة والجهد، خصوصا وأن (ف) كان قد تعود على قراءة وسماع مقالات سهلة، ولم يتعود على التعامل مع هذا النمط من الأحاديث التي لا يكاد يتم فهمها إلا ببحث مخلص منطوق على مشقة كبيرة...

فهل لديك حل عملي لهذه المشكلة بعد أن عرفتتها؟ أم تنصحني بترك الحديث بالمرّة؟ أرجو أن تكتب لي وتعينني وجزاك الله عني خيرا

وها أنا ألتمس منك العون بأن تقوم بتغيير أسلوب شيء من المقالات المذكورة وصياغته صياغة سهلة مطلوبة، ومن ثمّ عرض ذلك عليّ... فعسى أن يفتح الله لنا بذلك باباً لخير جديد، شريطة أن لا تعتبر هذا تعهداً مني بشيء، لئلا تتأذى إن لم تجد مني التفاعل المطلوب مثلاً...

× × × × × × × × × ×

(د)- لو أنك عيّنت في رسالتك المفاهيم التي بلورتها لك المقالات، وبيّنت كيفية استفادتك منها بالضبط والتفصيل لكانت رسالتك أكثر نفعاً...

وعلى أي حال فإنني أشكرك على أن هيأت لي فرصة
واقعية لتوضيح بعض الأمور، وأرجو أن يصلح الله أمري وأمرك
ويجعل عاقبة أمرنا خيراً ولا يتوفّانا إلا مسلمين، وأعتذر من
التأخير في نشر هذا التعليق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
هذا وإنني أعلن استعدادي (بل رغبتي) للتداول حول ما
ذكر في هذا التعليق، فأرجو ممن يرغب في ذلك أن يكتب ما
يشير المقال في نفسه من تساؤل وانتقاد... فيناولنيه، أو يضعه في
الصندوق، فإن رأيت في التعليق عليه وإعلانه نفعا لرواد المسجد،
فسوف أعلق عليه إن شاء الله وأعلنه كما فعلت بهذه الرسالة...

محمد علي باقري

عدّل في ذي الحجة ١٤٤٥

